سلسلة لقاءات :

الإيمان باليوم الآخر

أ. أناهيد السميري

ألقيت في شعبان 1434هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله–عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأول في سلسلة اللقاءات **حول موضوع من أعظم المواضيع أهمية**، وحياتنا تدور حوله، ومن المفروض على العبد إذا أراد أن يُحسِن إلى نفسه أن يجعل هذا الموضوع أمام عينيه وأن يُحسِن إلى نفسه بالبحث فيه، إن هذا الموضوع هو موضوع: **"يوم القيامة"**، قيامة العبد من لحظة موته إلى أن يلقى ربه، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن نلقاه وهو راضٍ عنَّا.

لابدَّ أن نعلم جميعًا أنه سيأتي يوم يُنهي فيه الحي القيوم الحياة والأحياء {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)}[1]؛ ثم يأتي وقت يُعيد الله العباد ويبعثهم فيوقفهم بين يديه، ويحاسبهم على ما قدَّموه من أعمال.

في هذا اليوم سيلقى الناس شأنًا عظيمًا، ويكون فيه أهوالًا لا ينجو من تلك الأهوال إلاَّ من أعدَّ لذلك اليوم عُدَّته.

ولهذا نحن نلتقي ونجتمع آملين أن يكون لقاءنا نوع من أنواع الاستعداد للقاء الله، وأن يكون اجتماعنا سببٌ من أسباب المرور على الصراط والنجاة من الظلمات في يومٍ لا ينفع الإنسان فيه إلَّا أن يأتي ربه بقلبٍ سليم، أهوال لا ينجو منها إلاَّ من أعدَّ لها، يساق العباد في ختام ذلك اليوم إلى دار القرار، هذا هو يوم القيامة اليوم الذي تنتهي به الأيام.

ومن أجل أن نعرف صفات هذا اليوم، نبدأ بحثنا في الأسماء التي سُمِّيت بها القيامة، بحيث أن هذه الأسماء تساعدنا في تصوُّر حقيقة ذاك اليوم.

- فمن أشهر الأسماء التي سُمِّيت في القرآن: **"يوم القيامة"**، ورد هذا الاسم سبعين مرة في سبعين آية: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}[2] ، {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[3].

فالمقصود بكلمة (القيامة): مِن قام يقوم، **وقد سُمِّيَ هذا اليوم يوم القيامة** لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين، ويقوم فيه من الأمور العظام، فيكون الناس في حال قيام وتقوم عليهم الأمور العظام.

(1) [سورة الرحمن: 26،27]
(2) [سورة الإسراء: 97]
(3) [سورة الزمر: 15]

- وسمّي أيضًا بـ **"اليوم الآخر"**، قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)}[1].

- وأحيانًا يسمّى بـ **"الآخرة"** أو **"الدار الآخرة"**، قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)}[2].

فتسميته باليوم الآخر لأنه اليوم الذي لا يوم بعده، يعني بعد هذا اليوم لن يكون هناك التوقيت المعروف اليوم والليلة؛-سبحان الله-كل هذا سيسقط بعد هذا اليوم.

- أيضاً من الأسماء التي سُمّيت بها يوم القيامة: **"الساعة"**، قال تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (15)}[3]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)}[4]، والساعة يقصد به العرب: الجزء من الزمان.

ولماذا سُمّيت القيامة بالساعة؟ كأنهم يقولون إنها قريبة، فإن كل آتٍ قريب، يعني أن بعد زمن يسير ستأتي. فكأن ما بينك وبينها إلا ساعة.

- وسُمّي أيضًا يوم القيامة بـ **"يوم البعث"** ؛ قال الله-عزَّ وجلَّ-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ}[5].

وسُمّي بالبعث لأن فيه الإحياء للموتى، وبعث الموتى ونشرهم يوم البعث.

- أيضاً سُمّي بـ **"يوم الخروج"** {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}[6]، {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ}[1]

---

(1) [سورة البقرة: 232]
(2) [سورة القصص: 83]
(3) [سورة طه: 15]
(4) [سورة الحج: 1]
(5) [سورة الحج: 5]
(6) [سورة ق: 42]

لماذا سُمّي بيوم الخروج؟ لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم عندما يُنفخ في الصور، فهو يوم الخروج لخروج العباد.

- سُمّي أيضًا بـ **"القارعة"**، وبه سُمّيت سورة القارعة، وورد أيضًا ذكرها في سورة الحاقة، قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}[2].

وقد سُمّيت بالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

- سُمّي أيضًا يوم القيامة بـ **"يوم الفصل"**، قال تعالى: {هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ}[3].

وسُمّي بهذا الاسم لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كان فيه يختلفون.

- وسُمّي بـ **"يوم الدين"**، قال تعالى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15)}[4] والدين في لغة العرب بمعنى: الجزاء والحساب.

فسُمّي بيوم الدين لأن الله يُجازي العباد ويحاسبهم في ذلك اليوم، فلما نقول: (مالك يوم الدين) يعني مالك اليوم الذي فيه يُجازى الناس ويحاسبون.

- وسُمّي يوم القيامة أيضًا **بـ "الصاخة"**، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ}[5]، والصآخة هي النفخة الأولى، والصَّخ من الصمم، فكأنه يُقال: هذا اليوم سيكون فيه صيحة تسمعها الدنيا كلها تصُم عن الدنيا، يصبح الإنسان لا يسمع شيء من الدنيا من شدة الصيحة، فهذه الصاخة كأنها صوت تصُخ الأسماع، يعني تبالغ في السماع لدرجة أنه قد يصم الإنسان بسببها.

- وأيضًا **يُسمَّى بـ "الطامة الكبرى"**–هذا عاشر اسم–، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ}[6].

---

(1) [سورة الروم: 25]

(2) [سورة الحاقة: 4]
(3) [سورة المرسلات: 38]
(4) [سورة الانفطار: 14،15]
(5) [سورة عبس: 33]
(6) [سورة النازعات: 34]

لماذا سُمِّي بذلك؟ لأنه يَطمّ على كل أمر هائل. ما المقصود بـ (يطم)؟ يعلو، يغلب؛ فهو يغلب كل شيء، يطم على كل أمر مُفظع ويعلو عليه فلا يبقى شيء فظيع إلَّا هذا. وهذه الطامة هي النفخة الثانية.

- أيضاً **يُسمَّى يوم الحسرة**–نعوذ بالله من الحسرة–قال تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[1]

سُمِّي بهذا الاسم لشدَّة تحسُّر العباد في ذاك اليوم وتندُّمهم، يتحسَّر الكفار على كفرهم لكن أيضًا المؤمنين لهم نصيب من الحسرة يتحسَّرون بسبب عدم استزادتهم من أعمال البر والتقوى.

- ويسمَّى ذاك اليوم العظيم **بـ "الغاشية"**؛ قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}[2].

وسُمِّي بذلك لأنه يغشى الناس بغمّه وأفزاعه، قال تعالى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}[3].

- سُمّي أيضًا ذاك اليوم **بـ "يوم الخلود"**.

لماذا؟ لأن الناس يصلون إلى دار الخلود، فالكفار يخلَّدون في النار، والمؤمنون يخلَّدون في الجنة.

- وأيضًا يُسمَّى هذا اليوم بـ **"يوم الحساب"**، قال تعالى: {بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[4]، {وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ}[5].

لماذا سُمِّي بيوم الحساب؟ لأن الله يحاسب فيه عباده.

- وسُمِّي أيضًا هذا **اليوم بـ" الواقعة"**؛ مثل قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}[6]؛ سُمّيت بذلك لأنها يقينًا ستقع.

---

(1) [سورة مريم: 39]
(2) [سورة الغاشية: 1]
(3) [سورة العنكبوت: 55]
(4) [سورة ص: 26]
(5) [سورة غافر: 27]
(6) [سورة الواقعة: 1]

- وسُمِّي بيوم **"الوعيد"**؛ قال الله-عزَّ وجلَّ-: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}[1]، الذي وعد به عباده. والمعنى فيه خبر عن العقوبة في هذا اليوم عند المخالفة، فوعدهم وخوَّفهم يوم الوعيد، هذا اليوم الذي يجتمعون فيه مع الله ويتحقَّق ما خوَّفهم به.

- وسُمِّي أيضًا **"يوم الآزفة"**، قال تعالى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ}[2] والمقصود: اقترابها، وأن الساعة قريبة جدًا وكل آتٍ فهو قريب.

- وسُمِّي أيضًا **"يوم الجمع"** ، قال تعالى: {ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ}[3]، **لماذا سُمِّي بيوم الجمع؟** لأن ذلك اليوم يُجمع فيه الناس.

- وسُمِّي أيضًا بـ **"الحاقة"**؛ لأن فيه يتحقَّق كل أمر: الثواب والعقاب، فهو اليوم الذي أحقَّت لقوم الجنة ولقوم النار.

- وأيضًا هذا اليوم العظيم يُسمَّى **"يوم التلاق"**، قال تعالى: {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ}[4]، وهو يومٌ عظيم يلتقي فيه آدم وآخر ولده، يلتقي فيها العباد، يلتقي فيها أهل السماء والأرض، يلتقي فيه الخالق والمخلوق، يلتقي فيه الظالم والمظلوم، يوم عجيب.

- وهو **"يوم التناد"** أيضًا ولذلك مؤمن آل فرعون يقول: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ}[5]؛ **لماذا يوم التناد؟** لكثرة ما يحصل في ذاك اليوم من النداء، فكل إنسان يدعى باسمه، يدعى للحساب والجزاء وأصحاب النار يُنادون، وأصحاب الجنة ينادون، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء، فلذلك سُمِّي بيوم التناد.

---

(1) [سورة ق: 20]
(2) [سورة النجم: 57]
(3) [سورة هود: 103]
(4) [سورة غافر: 15]
(5) [سورة غافر: 32]

وسُمّي أيضًا بـ"**يوم التغابن**"، قال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}[1]؛ **وسُمّي بذلك** لأن أهل الجنة يكلِّمون أهل النار لما يدخلون الجنة فيأخذون ما أعدَّ لهم ويورثون نصيب الكفار يوم القيامة، فهذا دليل على أن من استقام، فالله-عزَّ وجلَّ-يعطيه فوق عمله، ومن صدَّ وردَّ، فالله-عزَّ وجلَّ-يعامله معاملة تليق به.

درسنا فيما مضى تقريبًا 22 اسم من أسماء يوم القيامة.

ما سبب كثرة أسماء يوم القيامة؟

كثرة الأسماء تدلُّ على عظمتها. فلما يعظم شأنه، تتعدَّد صفاته وتكثر أسماؤه، فلو نظرنا إلى السيف نجد له أسماء كثيرة-500 اسم-فالقيامة لمَّا عظم أمرها وكثرت أهوالها، سمَّاها الله في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصافٍ كثيرة.

فنسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن نكون ممن سلم في ذاك اليوم من الهوان والذلِّ والافتقار إلى غيره، وأن تبقى قلوبنا منكسرةٌ بين يديه انكسار العبد الذليل الذي ينتظر عفو سيده ومولاه، يكون هذا حالنا في الدنيا لنكون أهل العزِّ في ذاك اليوم العظيم.

سنبدأ أحداث اليوم الآخر الذي ستعمُّ الأرض، هذه الأرض التي تَعُج بالحياة! ستأتي اللحظة التي يهلك فيها كل شيء، وعندما يأتي ذلك اليوم ينفخ في الصور، فهذه النفخة تُنهي الحياة في الأرض، وأيضًا تُنهي الحياة في السماء، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}[2].

فتصوَّري يقف كل شيء بصوت، تقف الحياة عن كل شيء بصوت يسمعه الإنسان-فسبحان الله-، كم للكلام والصوت من شأن!، وهذه النفخة الهائلة المدمِّرة-نعوذ بالله أن نكون من الأحياء وقتها-يسمعها المرء لا يستطيع أن يفعل شيئًا، قال تعالى: {مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ}[3] يَختصم بعضهم إلى بعض، يَخصِّمون يتبايعون يشترون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.

وفي الحديث: ((ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا)) أصغى بمعنى أمال، و "الليت" : صفحة العنق، لا يسمع أحد إلا يصغى بمعنى: يميل صفحة عنقه وينتهي أمره.

---

(1) [سورة التغابن: 9]
(2) [سورة الزمر: 68]
(3) [سورة يس: 49]

قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ))-يعني يصلحه-قال: ((فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ))[1].

والنبي-صلى الله عليه وسلم-حدَّثنا عن سرعة هلاك العباد حين تقوم الساعة فقال: ((وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ)) يعني اثنان أمام بعضهم، بائع ومشتري يفرشان ثوبهما، يريد المشتري أن يشتري والبائع أن يبيع، تأتي عليهم الساعة فلا يَطوِي ثوبه ولا يتبايعان!

((وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ)) يحلب حليب من لقحته فما يذوقه.

((وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ)) يعني يصلحه ولا يستطيع أن يسقى فيه قامت القيامة.

((وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا))[2] يرفع إلى فمه الأكل فلا يصل! تقوم عليه الساعة.

فإذًا هذه نفخة الصور التي يموت عليها الأحياء في الأرض وفي السماء فلا يبقى أحد إلا ما شاء الله.

ما هو الصور؟ الصور هو القرن، قرن يُنفخ فيه، فالقرن هذا كأنه الأداة المعروفة التي مثل البوق لكن لها شكل معروف يُسمَّى القرن وهذا هو الصور الذي ينفخ فيه، مَن ينفخ فيه؟ إسرافيل.

وقد ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَا طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ)) طرفه يعني بصره عينه ((مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ))[3].

فإذًا هذا الصور الذي يُنفخ فيه هو الذي يكون نفخته مدمِّرة تُنهي الحياة في الأرض وفي السماء، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ}[4] ، وهذا الصور كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-قَرن ينفخ فيه والنافخ فيه هو إسرافيل؛ وقد أرشد النبي-صلى الله عليه وسلم-أن العبد كلَّما ذكر هذا الأمر يعني تذكَّر التقام صاحب القَرنِ القرنَ وانحناء جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر سألوه: كيف نقول يا رسول الله؟ قَالَ: ((قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، على الله تَوَكَّلْنَا))[5].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الأَرْضِ...، 7568).
(2) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، 6506).
(3) المستدرك على الصحيحين للحاكم، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط مسلم.
(4) [سورة النمل: 87]
(5) مسند الإمام أحمد، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية.

إذًا معنى ذلك أن هذا اليوم العظيم بدايته أن الناس يكونون أحياء وهذه البداية لا تكون إلَّا على شرار الخلق، يكون الناس أحياء، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفُخ في الصور فينفُخ فيموت كل أهل الأرض والسماء.

فعلى الله توكلنا لأن وراءنا يومٌ عصيب، حسبنا الله ونعم الوكيل، توكَّلنا على الله ربنا هو حسبنا ونعم الوكيل في قضاء شأن دنيانا وديننا، وهو حسبنا ونعم الوكيل في قضاء شأن أُخرانا؛ لأن ذاك اليوم لا ينقضي إلَّا إذا أعان الله وسدَّد العبد وأصلح الأحوال.

أسأل الله-عزَّ وجلَّ-بمنِّه وكرمه أن يصلح أحوالنا وأن يجعلنا من أهل السداد، وأن يجعلنا ممَّن سلم قلبه فحسن عمله وجمعنا مع الصدِّيقين والأنبياء، اللهم آمين.

نهاية اللقاء الأول

اللقاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني من ضمن لقاءاتنا **حول موضوع: الإيمان باليوم الآخر والاستعداد للِّقاء العظيم الذي لابد أن يكون**، ونرجو من الله أن يكون على خير حال. لقاؤنا مع الله الذي نعلم يقينًا أنه واقعٌ وأنه حتمًا حاصل ونتقرَّب إلى الله بالإيمان به.

وقد عرفنا فيما مضى الأسماء التي وردت في القرآن ليوم القيامة لهذا اليوم العظيم.

وعرفنا أن في هذا اليوم العظيم يحصل الأهوال العظيمة وأولها النفخُ في الصور، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}[1].

وعرفنا أن الصور الذي ينفخ فيه الذي ورد في الحديث: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ مَا الصُّورُ؟ قَالَ: ((قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ))[2].

وعرفنا أن النافخ فيه كما اشتهر عند أهل السنَّة "إسرافيل".

وعلمنا من الحديث أن طرف صاحب الصور منذ وُكِّل به مستعدّ ينظر للعرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه.

وهذا النفخ في الصور يكون في يوم الجمعة، تقوم الساعة في يوم الجمعة، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم-قَالَ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[3].

فهذا اليوم العظيم الذي هو يوم الجمعة، قد ورد في مسند الطبراني عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَيَّامُ، فَعُرِضَ عَلَيَّ مِنْهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا هِيَ كَالْمِرْآةِ الْحَسْنَاءِ، وإذا فِي وَسَطِهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ)) يوم الجمعة في سائر الدهر كأنه مرآة بيضاء في وسطها نكتة سوداء.

---

(1) [سورة الزمر: 68]

(2) مسند الإمام احمد، وسنن أبوداود والترمذي. وصححه الألباني.

(3) "صحيح مسلم" (كتاب الجمعة، باب فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، 854).

((فَقُلْتُ-المقصود النبي-صلى الله عليه وسلم-قال-: مَا هَذَا السَّوَادُ؟-ما هذه النكتة السوداء في المرآة البيضاء-قَالَ: هَذِهِ السَّاعَةُ))[1].

وفي هذا دليل على أن الساعة تكون يوم الجمعة، وفيه دليل على أن يوم الجمعة يومٌ عظيم، وفيه دليل على ما سيأتينا في الحديث الآخر أن المخلوقات تكون في شفقة من هذا اليوم بسبب وقوع الساعة فيه، فتكون خائفة إلَّا الإنس والجن.

وقد حسَّن الترمذي حديث ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم-: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ هَبَطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ-يعني منتظرة قيام الساعة-يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالإِنْسَ...))[2] إلَّا الإنس والجن ما بهم؟ غافلين عن الساعة، وغافلين أنها ممكن أن تكون في أي جمعة من الجُمع.

ويأتينا أيضًا هنا سؤال: كم مدة النفخ في الصور؟ بمعنى سينفخ في الصور فيقع الصعق لأهل السماوات وأهل الأرض مرة واحدة، فمدة الصور مدة غير مقدَّرة بالزمن، لكن تحصل فيقع هذا الأمر أول ما تحصل.

كم مرة ينفخ في الصور؟ الذي يظهر والله أعلم، أن إسرافيل-عليه السلام-ينفخ في الصور مرتين:

الأولى: يحصل بها الصعق.

والثانية: يحصل بها البعث.

لأن في آية الزمر قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}[3].

وقد سمى القرآن النفخة الأولى بـ "الراجفة" والنفخة الثانية بـ "الرادفة" قال تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)}[4].

(1) المعجم الأوسط للطبراني، قال الألباني: ضعيف جدا.
(2) رواه أبو داوود في سننه (1046)، صحَّحه الألباني.
(3) [سورة الزمر: 68]
(4) [سورة النازعات: 6،7]

وفي موضعٍ آخر في سورة يس سَمّى الأولى بـ "الصيحة"، وصرَّح بالنفخ في الصور في الثانية، قال تعالى: {مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51)}[1].

وقد جاءت الأحاديث النبوية مُصرِّحة بالنفختين، في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ))، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، ..."[2].

والمعنى والله أعلم أنه أربعون لكن لم يحدِّد ما هي وحدة الأربعين بين النفختين.

ولمَّا نسمع هذا الحديث الذي في مسلم، يقول النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، ...)). الليت: صفحة العنق وإصغائه يعني إمالته.

قَالَ: ((وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ...)) الآن هذه نتيجة الصيحة الأولى أو النفخ الأول.

((ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ-أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ-مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوْ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ...)) الآن هذه أجساد يعني كأن الناس ينبتون كالزرع لكن فقط أبدانهم التي تنمو، تنمو فيقفون على هيئتهم التي كانوا.

يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ))[3] بمعنى تنبت أبدان الناس فتنبت منه أجساد الناس، تنبت لكن جسد بلا روح، فإذا نفخ فيه أخرى تتلاقى الأرواح مع الأبدان.

فيا له من موقف عظيم! والله على كل شيء قدير بعد أن تخرج الروح من البدن ويتحلَّل هذا البدن فلا يبقى منه شيءٌ يراه الخلق، أو يشعرون به يكون في الأرض وهو ما يُسمَّى بـ "عُجب الذَنب" وهو في جسم الإنسان معروف، هذا الجزء الذي يبقى من الناس ماذا يحصل له في ذاك اليوم؟

(1) [سورة يس: 49:51]
(2) "صحيح البخاري" (باب قَوْلِهِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}، 4814).
(3) "صحيح مسلم" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الأَرْضِ...، 2940).

في الحديث قَالَ: ((ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَاءً مِنَ السَّمَاءِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، قَالَ: وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى، إِلا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وقد أخرج الإمام أحمد حديث: ((يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ)) قِيلَ وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: ((مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ))[2].

والمقصد أن النفخة الثانية تحصل بعدما تنبت هذه الأجساد مثلما ينبت الزرع، ثم تأتي النفخة الثانية إيذانًا باجتماع الروح مع الجسد.

فالله أكبر! كم هو موقفٌ عظيم إذا عادت الروح إلى الجسد، يوم يحشر الله الخلق، ويكون في هذا الموقف العظيم التعارف، بعدما تحصل عودة الأرواح إلى الجسد بعد النفخ في الصور المرَّة الثانية ومن هنا يبدأ يوم الحشر.

يقول الله-عزَّ وجلَّ-في هذا اليوم: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ}-الله أكبر-كأن لم يلبثوا في قبورهم إلَّا ساعة من النهار كأنهم لم يغيبوا عن بعضهم إلَّا ساعة من النهارَ فلا الملامح تتغيَّر، ولا أحوال العبد تتغيَّر بعدما أكل التراب كل شيء في بني آدم، ينبتون تعود إليهم أرواحهم، ثم يجتمعون فيتعارفون بينهم، كيف يتعارفون؟ يعود كل واحد منهم على هيئته، قال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[3]، نعوذ بالله من التكذيب بالحق، نعوذ بالله من ضعف الإيمان، نعوذ بالله أن ننسى هذه الحقائق التي لابد أن نعيشها ولابد أن تمرَّ علينا جميعًا بدون استثناء.

على كل حال، عرفنا الآن أن هناك نفختين وهذا على الرأي الراجح:

- الأولى: يموت فيها كل من كان حيًّا ويُغشى على من لم يمت ممَّن استثنى الله.
- والثانية: يعيش بها من مات، ويفيق بها من غُشي عليه.

هذا الذي يظهر من النصوص والله أعلم.

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (4935)، ومسلم (2955) باختلاف يسير.
(2) مسند الإمام أحمد، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.
(3) [سورة يونس: 45]

يأتي هنا سؤال: مَن هم هؤلاء الذين لا يصعقون عند النفخ في الصور؟

قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}[1].

ما معنى (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)؟ الذي يظهر أن هؤلاء المستثنين من النفخ في الصور على رأسهم موسى-عليه السلام-؛ كما ورد في صحيح البخاري: ((لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ مُتَعَلِّقٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ-عزَّ وجلَّ-))[2] فهذا واضح جدًا أنه ممَّن استثنى الله، فبهذا نُعيد فهم النفخ في الصور نقول:

أولًا: تحصل النفخة الأولى؛ فماذا يحدث؟ يحصل إفناء للأحياء وهذه النفخة-والعياذ بالله-لا تكون إلَّا على أهل الجهل وعلى شرار الخلق.

ثم ماذا يحصل؟ ثم لمَّا يأذن الله، وقد ورد في حديث أبي هريرة: "فسألوه، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، ..."؛ فلم يعطيهم جواب أن هذه الأربعين ماذا تكون، فنفهم من ذلك أنها أربعين والعلم عند الله ماذا ستكون.

ماذا يحصل بعد ذلك؟ تُمطر السماء فينبت الناس، ينبتون وفي نباتهم هذا تخرج الأجساد، ثم تحصل النفخة الثانية، التي **سمِّيت بـ "الرادفة"** تأذن بعودة الأرواح إلى الأجساد، عندما تعود الأرواح إلى الأجساد، **أول من تعود إليه روحه هو النبي-صلى الله عليه وسلم-**، عندما تعود إليه روحه-صلى الله عليه وسلم-كما ورد في الحديث: ((إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ))[3]، بعدما تعود الأرواح إلى الأجساد، واتفقنا كما في آية يونس أنهم يتعارفون بينهم ما تغيَّرت أشكالهم ولا استنكر بعضهم بعضًا، فماذا يحصل؟ ((فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ مُتَعَلِّقٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فإذا أنا بموسى متعلِّق بالعرش...)) معنى ذلك أن موسى سبق النبي-صلى الله عليه وسلم-، النبي-صلى الله عليه وسلم-عرف أنه أول من يرفع رأسه فسبق موسى إلى تعلُّقه بالعرش قال: ((فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ-عزَّ وجلَّ-)).

---

(1) [سورة الزمر: 68]

(2) متَّفق عليه، أخرجه البخاري (6517) واللفظ له، ومسلم (2373)

(3) "صحيح البخاري" (باب قَوْلِهِ {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}، 4813).

يعني هل موسى -عليه السلام- صعق أو كان ممَّن استثنى الله كما في الرواية الثانية، ولماذا يمكن أن يكون موسى استثني؟ لأنه -صلى الله عليه وسلم- قد صعق سابقًا، كما وقع عندما رأى الجبل قد زال من مكانه قال تعالى: {وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}[1]، فهذا معناه أن الأرواح كلها تعود إلى الأجساد في ذاك اليوم بعد النفخة، لكن يمكن أن يستثنى أحد من النفخة الأولى فلا يموت ومن ثمَّ من النفخة الثانية.

هذا ما اتُفِقَ عليه فيمن استثنوا في النفخة، وقد ذكر ابن تيمية أن من بين من يستثنى الشهداء، وذكر أيضًا أنهم الحور العين، لكن ذكر في نهاية كلامه أنه لا يمكن الجزم بكل من استثناه الله فإن الله أطلق في كتابه والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد توقَّف في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء أو لا، وكما قال في آخر كلامه: "وهذا العلم لا ينال إلَّا بالخبر".

فعلى ذلك يبقى الاستثناء كما هو؛ لأن هناك كلام للعلماء في الاستثناء لكن كل الكلام ليس عليه أدلَّة، إنَّما هو من التفكير العقلي، ومثل هذا لا يصلح فيه التفكير العقلي إنَّما نستقبله كما ورد بدون أن يكون لنا فيه رأي.

إذًا في هذه اللحظة، **تبدأ لحظة الحشر**، يبدأ البعث والنشور وإحياء العباد، فالنشور يقال: نشر الميت نشورًا، إذا عاش بعد الموت، ومعنى أنشره الله: يعني أحياه، فمعنى هذا أن الخلق تُعاد لهم الحياة إذا شاء الله، أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد، واتَّفقنا أنه يسبق هذا نزول الماء من السماء فتنبت منه أجساد العباد.

وهذا يزيدك فهماً عندما تسمع قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ}[2].

وتسمع في الأعراف: {حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[3].

لو نظرت لهاتين الآيتين (كذلك النشور) و (كذلك نخرج الموتى) **يدلَّان على المماثلة والمشابهة** بين إعادة الأجسام بإنباتها من التراب بعد إنزال الماء قبل أن يُنفخ وتعود الأرواح، وبين إنبات النبات بعد نزوله من السماء، ونحن نعلم أن النبات يتكوَّن من بذور صغيرة، كذلك أبدان هؤلاء الناس كما مرَّ معنا تعود من عُجب الذنب، وقد مرَّ معنا أنه مثل الخردلة، فمعنى ذلك أنه ينبت

(1) [سورة الأعراف: 143]
(2) [سورة فاطر: 9]
(3) [سورة الأعراف: 57]

مثلما تنبت النباتات، الأرض ساكنة هامدة، إذا نزل عليها الماء تحرَّكت فتصبح نبتة متكاملة، وكذلك الإنسان، عجب الذنب هذا مثل الخردل ينمو للإنسان نتيجة أن الله يجعل هناك مثل المطر يسقط عليه فتنبُت، ثم ينفخ في الصور فتجتمع الروح مع البدن.

كرَّرنا هذا الأمر لعلَّنا نعتبر وننتفع ونتصوَّر ماذا سيكون في ذاك الموقف العظيم ونعيد ترتيب حساباتنا وتفكيرنا، وما نرغب أن يكون في لحظة التقاء روحنا مع أجسادنا وتعارفنا على من حولنا، ماذا نريد أن تكون حالنا؟

هذا أمر لابد أن يشغلنا، فإذا بقينا نذاكر ونتذاكر اليوم الآخر ونتصوَّر ما سيكون بترتيب الأحداث، عسى قلوبنا أن تتحرَّك استعدادًا وخوفًا ورجاءً، وعسى أن يكون هذا سبب لإحسان العمل، وعسى أن يكون هذا سبب للتوبة، التوبة التي هي على الحقيقة العبادة التي يجب ألَّا تنقطع فالتوبة وظيفة العمر، فلا تنقطع عن القيام بها.

اللهم تُبنا إليك نستغفرك ونعوذ بك من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، ربنا ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا.

انتهى لقاءنا اليوم، عرفنا فيه أمورًا عظام؛ أسأل الله أن يسدِّدنا ويبارك لنا ويجعل أيامنا أيام استعداد للِّقاء، وألَّا نكون من القوم الذين نسوا أنفسهم فأنساهم الله وزاد عليهم النسيان، نعوذ بالله من الغفلة، نعوذ بالله من الغفلة، نعوذ بالله من الغفلة.

نهاية اللقاء الثاني

اللقاء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثالث من ضمن لقاءات الإيمان باليوم الآخر، وقد مرَّت معنا بعض الحقائق عن هذا اليوم العظيم، ابتدأناها بالكلام حول الأسماء التي ذُكرت لهذا اليوم العظيم، ثم مرَّت معنا مسألة النفخ في الصُّور، وكم مرَّة يُنفخ في الصُّور، والذين لا يُصعقون عند النفخ في الصُّور، ثم مرَّ معنا آخرًا مسألة البعث والنُّشور.

وعرفنا أن عدد النفخات نفختين:

1- النفخة الأولى: يموت كل من في السماوات ومن في الأرض، وهل هناك من يُستثنى من ذلك؟ ناقشنا هذه المسألة.

2- ثم النفخة الثانية: في الصُّور تكون كما ورد في الأحاديث تكون بنزول ماء من السماء فتنبُت منه أجساد العباد.

البعث والنُّشور ما صورته؟

كالتالي: أولًا ينزل ماء من السماء فتنبُت منه أجساد العباد، وفي الرواية ((يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوْ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ))[1].

ومن أجل أن يزيد الأمر بيانًا، قد فهمنا أن في كل إنسان شيء اسمه: **عَجبُ الذَّنبِ**، كما ورد في الحديث في مسلم: ((إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) قَالُوا أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((عَجْبُ الذَّنَبِ))[2].

ينزل عليه الماء من السماء فتنبت أجساد الناس كأنها نبات، تكون هذه الأجساد ميّتة؛ بمعنى لا روح فيها، ثم ينفخ النفخة الثانية، فيكون إيذانًا بالتقاء الروح بالجسد.

الآن الناس أصبحوا في بعث جديد، يُعيد الله العباد أنفسهم ولكنهم يُخلقون خلقًا مختلفًا نوعًا ما عمَّا كانوا عليه في الحياة، من ذلك أنهم لا يموتون مهما أصابهم البلاء، قال تعالى: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}[3] .

(1) "صحيح مسلم" (الفتن وأشراط الساعة/ باب فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الأَرْضِ .../ 2940) .
(2) "صحيح مسلم" (الفتن وأشراط الساعة/باب مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ/ 2955).
(3) [سورة إبراهيم: 17]

وفي الحديث الذي يرويه الحاكم بإسناد صحيح قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَالَ: ((يَا بَنِي أَوْدٍ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَى النَّارِ، وَإِقَامَةٌ لَا يُظْعَنُ فِيهِ -يعني لا ارتحال-، وَخُلُودٌ لَا مَوْتٌ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ))[1].

وأيضًا من الاختلاف أن العباد يُبصرون ما لم يكونوا يستطيعون إبصاره، فإنهم يُبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن وما الله به عليم، ومن ذلك أن أهل الجنة -نسأل الله من فضله- لا يبصقون ولا يتغوَّطون ولا يتبوَّلون، هذا التقرير معناه أن هؤلاء نفس الخلق يبعثون خلقًا آخر من جهة صفاتهم، لكن من جهة ذواتهم يتَّفقون ويتماثلون تماثلًا تامًا.

إذًا هذا أول تقرير أن البعث سيخرج نفس الناس لكن لهم صفات مختلفة، هذا الفرق، هذا البعث يحصل بعده حشر الخلائق جميعًا إلى الموقف العظيم، وقد مرَّ معنا أنه سُمِّي: يوم الجَمع؛ لأن الله يجمع العباد فيه جمعًا، قال تعالى: {ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ}[2]، ويستوي في هذا الجَمع الأولون والآخِرُون.

وهذا يزيدنا إيمانًا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله بالعباد محيط، وأن الله بكل شيء عليم، وأينما هلكوا العباد أتى بهم الله، قال تعالى: {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3] ؛ فإيماننا بقدرة الله تجعلنا على يقين أن الأوَّلين والآخرين كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (50)}[4]، قدرة الله -عزَّ وجلَّ- العظيمة من أفرادها وتفاصيلها، أنه -سبحانه وتعالى- قادر على أن يجمع هؤلاء كلهم في هذا الموقف العظيم.

وكذلك علمه فإنه -سبحانه وتعالى- لا ينسى أحدًا، ولا يضلُّ منهم أحد، ولا يشذُّ منهم أحد، قال تعالى: {لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)}[5]، {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}[6]، وهذه النصوص تدلُّ على أن كل شيء يُحشر، (الإنس، الجن، الملائكة)، وقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم، والذي يظهر أنها أيضًا تُحشر، بدليل قوله تعالى: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}[7]، وهذا مُتبيِّن والله أعلم.

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ.
(2) [سورة هود: 103]
(3) [سورة البقرة: 148]
(4) [سورة الواقعة: 50، 49]
(5) [سورة مريم: 95،94]
(6) [سورة الكهف: 47]
(7) [سورة التكوير: 5]

وقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ}[1] قَالَ: ((يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمَ، وَالدَّوَابَّ، وَالطَّيْرَ، وَكُلَّ شَيْءٍ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَئِذٍ، أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ))، قَالَ: ((ثُمَّ يَقُولُ: " كُونِي تُرَابًا " قَالَ: فَلِذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: {يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[2]))[3].

فإذًا يُحشر الخلق على صفتهم كلِّهم، إنسهم وجنّهم والملائكة والدواب كلهم في ذاك الموقف العظيم، وتتغيَّر طبيعة الإنسان فيرى ما كان لا يراه سابقًا، وتتغيَّر طبيعة الإنسان فمهما اشتدت عليه الحوادث لا يموت، أمَّا صفة الخلق وقت الحشر فهو كما أخبر النبي-صلى الله عليه وسلم-في صحيح البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: "((إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا)) ثُمَّ قَرَأَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[4] "[5].

وعندما سمعت عائشة الرسول-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ!! قَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَا عَائِشَةُ: الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ))[6].

كم لهذا الموقف العظيم من هيبة عظيمة؟ الأمر أشد من أن يكون هذا الأمر يلفت، أو هذا الأمر يُحرِّك، لقد انقطعت القلوب من الخوف، الأفئدة فارغة من رهبة المكان والزمان، وعظمة من سيلقون.

المقصود أن في هذا اليوم يُكسى الأنبياء، ثم الصِّديقون، ثم من بعدهم على مراتبهم، فتكون كسوة كل إنسان على حسبه، وقد أشار بعض المفسِّرين أن قوله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ}[7]، أنه يقصد به أن يوم القيامة يُستر الإنسان على حسب تقواه، فيُبعث الإنسان على عمله ويُكسى على تقواه.

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يكون لباسًا من التقوى يُكسينا، وأن يُذهب عنَّا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

---

(1) [سورة الأنعام: 38]

(2) [سورة النبأ: 40]

(3) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، قال الحاكم: احْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(4) [سورة الأنبياء: 104]

(5) "صحيح البخاري" (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}.../ 3349).

(6) "صحيح مسلم" (الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ/2859).

(7) [سورة الأعراف: 26]

إذًا اتَّفقنا أن العباد يُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غُرلًا، كما صحَّ بذلك الحديث، ثم يُكسى العباد، فالصالحون يُكسون الثياب الكريمة، على حسب تقواهم، وأول من يُكسى من عباد الله نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، كما ورد في الحديث: ((وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ))[1].

والطالحون يُسربَلون بسرابيل القطران-نعوذ بالله من حالهم-ودروع الجرب، ونحوها من الملابس المنكرة الفظيعة.

المقصد أن هذا اللباس سيُسبِّب لنا هنا في الدنيا الاعتناء بتقوانا.

فما العلاقة بين التقوى واللباس؟

كما اتَّفقنا أن الله-عزَّ وجلَّ-أخبر: {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ}، فنقول: كلَّما ستر الإنسان عيوب قلبه ومعاصيه وذنوبه بالتقوى، كان مستورًا يوم القيامة بما يُكسيه الله من اللباس، يعني القلوب فيها عورات، القلوب فيها ضعف، وفيها شهوات، وفيها تعدِّي، فإذا سترت هذه العيوب بالتقوى واتَّقيت الله، ومنعت نفسك من الخواطر، ومما تريد، ومن الإرادات، سيكون أثر هذا أن يُكسيك الله الحُلل يوم القيامة.

وموضوع **ستر عورات القلب** موضوع غاية في الأهمية، ويلزمنا أن نفهمه بالتفصيل، ونقول باختصار هنا، ويأتينا إن شاء الله أن نتكلَّم بالتفصيل:

القلب مريض بالشهوات، له رغبات، فلما تأتيك هذه الرغبات والشهوات تصارعك ماذا تفعل بها؟ تتَّقي، تمتنع، تَستُر حسَدك بالدعاء لصاحب النعمة، والدعاء لنفسك بالنعمة، تَستُر غيظ قلبك من أحد بالتفكير في حسناته وخيراته ونشرها، ففي كل عورة هناك طريقة للعلاج، مثلًا كنت شحيحًا وعندك حب وحرص على المال، تَستُر هذا الشح أن تغصب نفسك على الإنفاق، تستر حبك لمعرفة الأخبار والسؤال عن الناس من باب التطفل عليهم بأن تلزم نفسك السكوت التام عن الأسئلة المباشرة وغير المباشرة، وعن كل الحيل التي يمكن أن تستخدمها لمعرفة ما تريد، وهكذا.

المقصود أن باب ستر العورة القلبية باب واسع عظيم، يحتاج أن تعرف العورة وأن تعرف علاجها ممَّا مرَّ في الكتاب والسنَّة، **ولو فهمنا هذا سنفهم لماذا أول من يُكسى إبراهيم-عليه السلام-**، قيل لأنه لم يكن في الأوَّلين والآخرين أخوف لله منه، فتُعجِّل له

(1) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (6526)، ورواه مسلم في صحيحه (2860)

الكسوة أمان له ليطمئن قلبه، وقيل إن من ألقوه في النار جرَّدوه ونزعوا ثيابه على أعيُن الناس فأهانوه هذه الإهانة، فكان الجزاء أن يُكسى أول من يُكسى على رؤوس الأشهاد.

على كل حال، إن كان من الخوف فالنبي-صلى الله عليه وسلم-كان من أخوف الناس، وربَّما كان الثاني أقرب والله أعلم بالصواب، لكن المقصود أن القلب إن خاف وانكسر وذلَّ واتَّقى، هذا له أثر في ستر عورته يوم القيامة.

إذًا هذا شيء مهم أن نعرف أن الناس يُخرجون حفاة عراة لكن تحصل لهم كسوة على رؤوس الخلائق، وأول من يُكسى هو إبراهيم-عليه السلام-، ويُكسى الإنسان على حسب تقواه، فهذا يجعلنا نعتني بالتقوى، ونرغب فيها، ولمَّا نسمع كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-عن أبي بكر-رضي الله عنه-وعن عمر-رضي الله عنه-، نرى كيف فضلهم، وسابقتهم في الإسلام، وتقواهم، ونرى كيف سيكون مكانهم يوم القيامة، والشاهد في رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم-مع عمر-رضي الله عنه-: ((بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ)) قَالُوا: مَاذَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: ((الدِّينَ))[1].

فها هو الدين مثل القُمص، وهذا شاهد على أن التقوى مثل اللباس، وهذا يجعلنا نتأمَّل أن زيادة جُهدنا في تقوانا سبب لسِتر عوراتنا على رؤوس الخلائق.

ثم نقول-بعدما انتهينا مما مضى-: أن الأرض التي سيُحشر فيها العباد يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، بمعنى ليس فيها مَعلَم لأحد، قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[2].

فهذه الأرض كما ذكرنا صفاتها كالتالي بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد، أرض (بيضاء عفراء): يعني ليس بياضًا ناصعًا، بياض مُضرب إلى الحمرة، وقيل العكس إن عفراء يعني: خالصة البياض.

(كقرصة النقي) يعني: الدقيق النقي من الغَش.

(بيضاء عفراء): كأنها دقيق، مثل الدقيق النقي.

(1) "صحيح البخاري" (كتاب التعبير/ باب القميص في المنام/ 7008).
(2) [سورة إبراهيم: 48]

(ليس فيها مَعلَم) بمعنى: ما فيها مَعلَم يُهتدى به لا جبال ولا صخور، ولا فيها أي معالم فقد كانت هذه الأشياء كلها للاهتداء، والآن تغيَّرت الأرض، بُدِّلت الأرض غير الأرض.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن عدد من الصحابة تُفيد هذا المعنى، وأن الأرض غير الأرض كأنها الفضة لم يُسفك عليها دمًا حرام، ولم يُعْمَل عليها خطيئة، ووقت هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصِّراط أو قبل ذلك بقليل.

ففي صحيح مسلم مِن حديث عَائِشَةَ-رضي الله عنها-قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَوْلِهِ-عزَّ وجلَّ-:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: ((عَلَى الصِّرَاطِ))[1].

ورَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ثَوْبَانِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَجَاءَهُ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ))[2].

والمقصود بالجسر هنا بمعنى الصِّراط.

إن شاء الله يكون هذا الموضوع **وهو: أين سيكون الناس عندمَّا تبدل الأرض غير الأرض** هو أول نقاش نناقشه في حلقتنا القادمة، الحلقة الرابعة من حلقات التذكير بالإيمان باليوم الآخر.

بارك الله في الجميع، نفعنا الله بما نتعلَّم، ونسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعل هذا الإيمان سببٌ للاستعداد، وأن يجعل تذكيرنا بعضنا لبعض باليوم الآخر سببٌ من أسباب الصلاح في ذلك اليوم، اللهم آمين.

نهاية اللقاء الثالث

(1) "صحيح مسلم" (صفة القيامة والجنة والنار/ باب فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ/ 2791).

(2) "صحيح مسلم" (كتاب الحيض/ باب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَائِهِمَا/ 315).

اللقاء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده-سبحانه وتعالى-حمدًا كثيرًا مباركًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونصلّي ونسلّم على نبيّنا مُحمد المبعوث رحمة للعالمين، النبي الأمين على الوحي وعلى المؤمنين، فقد أدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وقد أجرى الله على يديه الخير العظيم الذي من آثاره أن نتوقَّى يوم الدين، من النار وأسبابها؛ فاللهم صلَّ وسلم على مُحمدٍ صلاة تنفعنا يوم أن نلقاك.

ومن أعظم ما دلَّنا وأرشدنا النبي-صلى الله عليه وسلم-إرشاده لنا في هذا الأمر العظيم وهو إيماننا باليوم الآخر، وقد مرَّ معنا تفاصيل الكلام حول اليوم الآخر، وكيف يكون، ووصلنا إلى الحشر، يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات، ورأينا كيف وصفت أرض المحشر بأنها بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها معلمٌ لأحد، وهذا الخبر الذي أتى به النبي-صلى الله عليه وسلم-وفيه دلالة على حشر الناس يوم القيامة، وهذه الأخبار جميعها التي أتى بها النبي-صلى الله عليه وسلم-عن يوم القيامة أتى بها الأنبياء جميعًا، وحتى في الكتب المُحرَّفة وقع الأخبار عن هذا اليوم العظيم، وكيف يكون أحوال أهله.

فلمَّا عرفنا المحشر نريد أن نعرف أحوال أهل المحشر، وكيف يكونون.

ونبتدئ بأحوال الكفار-عياذًا بالله من حالهم-فهؤلاء الكفار قد بيَّنت النصوص التي تصف يوم القيامة الأهوال العظام، والمصائب الكبيرة التي تنزل بهؤلاء الكفرة، ولنتدارس معًا نص من هذه النصوص فنقرأ ما ورد في سورة القمر، في الآيات: (6،7،8).

الله-عزَّ وجلَّ-يقول: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ} وهذه دلالة على الذُّل، يخرجون خاشعي الأبصار أذلَّاء، {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (7)} يخرجون خاشعي الأبصار أذلَّاء مسرعين إلى مصدر الصوت الذي يناديهم ويدعوهم، {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)}حالهم في وقت انطلاقهم وحركتهم وهم يخرجون كحال الجراد المنتشر، ويعترفون باليوم العظيم {هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}.

إذًا فهمنا من ذلك:

- أنهم يخرجون خاشعي الأبصار أذلَّاء.
- مسرعين إلى مصدر الصوت.
- حركتهم مسرعين كحال الجراد المنتشر.
- أنهم يعترفون أن ذاك اليوم يومٌ عسر.

وإذا تدارسنا آية سورة يس الآيتان: (51،52)، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}. فهذا الموقف العظيم الذي لم يحصل فيه بعد لا الحساب ولا العقاب، فقط خرجوا من قبورهم، وكانوا يعذَّبون في قبورهم وبرزخهم، فتخيَّلي كانوا يعذَّبون في برزخهم ثم لمَّا خرجوا ليوم القيامة: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} دعوا بالويل لمَّا انقطعت عنهم حياة البرزخ، لكن حياة البرزخ فيها عذاب! لا تظنهم كانوا نيَّام إنَّما هم في عذاب، فلماذا يدعون بالويل عند انقطاع ذلك عنهم؟! أكيد أنهم سينتقلون إلى طامة هي أعظم مما كانوا فيه، ولولا أن الأمر بهذه الفظاعة ما كانوا استصغروا ما سبق، وهذه الحقيقة لأن الله يقول: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ}[1].

وأوصافهم في هذه المواقف عظيمة، **في مقابلهم أوصاف المؤمنين الذين منَّ الله–عزَّ وجلَّ–عليهم بالتقوى**، هؤلاء قوم لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، هؤلاء هم **"أولياء الرحمن"**، الذين آمنوا به، وعندما يبعثون تستقبلهم الملائكة، تهدئ من روعهم وتُطمئن قلوبهم، فالله–عزَّ وجلَّ–يقول: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}[2] سمَّاه الله **"الفزع الأكبر"**، لكن هؤلاء {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (103)}.

إذًا تأتي الملائكة لتهدئهم وتشرح صدورهم، الفزع الأكبر الذي يصيب العباد عندما يبعثون من القبور، فيه تتلقَّاهم الملائكة الله–عزَّ وجلَّ–قال أولًا: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}، في هذا اليوم ينادي الرحمن أولياءه: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) }[3]، ومثلها: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}[4].

---

(1) [سورة النازعات: 34]
(2) [سورة الأنبياء: 101، 103]
(3) [سورة الزخرف: 68،69]
(4) [سورة يونس: 62:64]

السؤال: لماذا يكون هؤلاء الأتقياء أهل أمن؟

لأن قلوبهم كانت عامرة بمخافة الله، فأتى في أوصافهم أعمال عظيمة، أقاموا ليلهم، أظمؤوا نهارهم، استعدوا، قالوا: {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)}[1]، من يكون هذا حاله: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11)}[2].

وقد ورد في الحديث الحسن أَنَّ الله-عزَّ وجلَّ-قال: ((وعزَّتِي لا أَجْمَعُ على عَبدي خَوْفَيْنِ ولا أَجْمَعُ لهُ أَمْنَيْنِ، إذا أَمِنَنِي في الدنيا أَخَفْتُهُ يومَ القيامةِ، وإذا خَافَنِي في الدنيا أَمَّنْتُهُ يومَ القيامةِ))[3].

فهذه علَّة واضحة وهي أن من خاف في الدنيا كان أهلًا للأمان في الآخرة وبالعكس.

وأيضًا لو أردت أن تعرف أهل الأمان في ذاك اليوم فلنتدارس آيات سورة الأنعام الآيتان: (81، 82).

فنجد الله-عزَّ وجلَّ-في قصة إبراهيم يخبرنا عن صنف مِن أصناف مَن يكون يوم القيامة آمن عندما يخرج الناس إلى الفزع الأكبر، يقول الله-عزَّ وجلَّ-في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاجَّته لهم، في نهاية المحاجَّة يقول: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (81) }[4].

فالله-عزَّ وجلَّ-يرد: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82)}[5] فكلَّما كان العبد مُخلصًا باذلًا جهده في الإخلاص، كان أكثر أمانًا يوم القيامة.

بهذا عرفنا أن هؤلاء القوم-أهل الكفر-يخرجون بهذه الصورة الفظيعة من قبورهم، ما حالهم وهم يخرجون من قبورهم؟ في حال ذل وهوان وحسرة ويأس: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}[6] ، {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (7)}من السرعة يخرجون يقولون: {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}[7]، هذا برغم أنهم في عذاب، إذًا يوم الفزع الأكبر اليوم الذى قال الله فيه{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ}[8].

---

(1) [سورة الإنسان: 10]
(2) [سورة الإنسان: 11]
(3) صحيح ابن حبان، حكم الألباني: إسناده صحيح لولا الإرسال، ثم ذكر له طرقا أخرى.
(4) [الأنعام: 81]
(5) [سورة الأنعام: 52]
(6) [سورة المعارج: 44]
(7) [سورة يس: 52]
(8) [سورة النازعات: 34]

هناك طريقين:

- طريق: يكون الإنسان به آمن وقت الخروج: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}[1].
- طريق: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)}[2].

تصوَّري هذه الحال، {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} مسرعين يهرولون مدفوعين وهم شاخصي الأبصار خائفين خوفهم وصل قلبهم مثل قلب الطائر الخاوي من كل وعي من الإدراك، كل شيء حوله مليء بالأهوال {تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}.

وقال تعالى في عن ذاك اليوم: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[3]، هذه كلها من أحوالهم: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ}[4]، في ذاك اليوم: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[5]، في مقابل هؤلاء المؤمنين: {لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[6]، هؤلاء المؤمنين: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12)}[7] فسبحان الله كيف أن لهذا مخرج ولهذا مخرج؟!، كيف بينهم هذا التباين العظيم ؟! كما هو التباين في حياة العالمين، وهذا يجعل الإنسان غاية في الاعتناء بأن يكون مدخله مدخل صدق، ومخرجه مخرج صدق، من أجل ألَّا يكون ممن خسر في ذاك اليوم العظيم.

إذا عرفنا هذا وهو جزء من الموقف العظيم كيف يكون أحوال هؤلاء وأحوال هؤلاء، **صنف لا بدّ من ذكرهم بين هؤلاء وبين هؤلاء**، ذكرنا أحوال أهل الإيمان، وذكرنا أحوال أهل الكفر، الآن هنا حال عصاة المؤمنين، فبعض المؤمنين يكون قد قارف ذنوبًا توقعه في أهوال ومشقَّات وصعاب، وهذه الذنوب تُسبِّب له في ذاك اليوم شيء من العذاب الذي يذوقه في العرصات، ومن ذلك القوم الذين لا يؤدون الزكاة، في الحديث: ((مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ))[8].

---

(1) [سورة الأنبياء: 103]
(2) [سورة إبراهيم: 42،43]
(3) [سورة مريم: 39]
(4) [سورة النساء: 42]
(5) [سورة النبأ:40]
(6) [سورة الأنعام: 82]
(7) [سورة الإنسان: 11،12]
(8) "صحيح مسلم" (كتاب الزكاة/ باب إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ/ 987)

فسيكون دورنا أن نعرف الذنوب والمعاصي التي هي سبب في عقوبة العرصات، والطاعات التي هي سببٌ في يسر وسهولة الحساب، ويكون أثرها على هذا الموقف العظيم. سنأخذ بعد ذلك حال المؤمنين وحال عصاة المؤمنين، ونأتي إلى أفعال لو فعلها الإنسان يجد آثارها في عرصات يوم القيامة.

من أفعال عصاة المسلمين أنهم يكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون الزكاة، فهذا أثره أن يكون هناك صحائف من ذهب أو فضة يعذب بها الإنسان في المحشر-والعياذ بالله-، في مقابل أن من أعظم ما يُفرّج كُرُبات العبد يوم القيامة سعي العبد في الدنيا في فك كُرُبات المكروبين، ومساعدة المحتاجين، والتيسير على المعسرين، والنبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[1]، فياله من حديث عظيم جعل الدنيا وسيلة الآخرة، فمن نفَّس عن مؤمن كربة وهو صادق مُحتسب نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ فاستكثروا من تنْفِيس الكُرب، ومن تيسير العسير، وكلٌّ في مقامه، فإن تيسير مصالح العباد والسعي معهم كلها سبب لزيادة الإيمان، ولرضا الرحمن، ولجعل يوم القيامة من خير الأيام.

وهذا يؤيّده الحديث الذي ورد في سلسلة الأحاديث الصحيحة ذكره البيهقي في الشعب والضياء في المختارة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))[2].

فنصرة الأخ والدفاع عنه وعدم خذلانه بما يتيسَّر، لكل واحد باب عظيم من أبواب تفريج كُرب يوم القيامة، فلننشغل جميعًا بهذا الأمر العظيم، وأن نحمل همَّ ذاك الموقف العظيم ولنعمل لذاك اليوم أعمال.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن أحسن في حياته ليسعد في قبره وفي دار الخلود، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

انتهت هذه الحلقة من حلقات النقاش حول الإيمان باليوم الآخر؛ نلتقي غدًا بإذن الله وأنتم في خير حال.

(1) "صحيح مسلم" (الذكر والدعاء والتوبة/ باب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ/ 2699)
(2) البيهقي في الشعب والضياء في المختارة (السلسلة الصحيحة)

نهاية اللقاء الرابع

اللقاء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نعاود لقاءاتنا التي هي تدور حول موضوع: **الإيمان باليوم الآخر**، وقد وصلنا في المناقشة في الحلقة الماضية حول أحوال الناس في يوم القيامة، وتبيَّن لنا ذكرنا حال من أحوال أهل الكفر وكيف ذُلّهم وهوانهم وحسرتهم ويأسهم يكون في ذاك اليوم، وفي مقابل ذلك ذكرنا حال أهل الإيمان، وكيف يكون أمنهم وسعادتهم، وكيف تكون آثار أعمالهم، وهذا حال الأتقياء وهذا حال الأشقياء، وتبيَّن لنا في الوسط حال العصاة من الذين آمنوا.

اليوم نسير نفس السير ونذكر جزء من حال أهل الشقاء، ثم نذكر حال أهل السعادة، ثم العصاة كيف يكون حالهم.

فمن أحوال أهل الكُفر: إحباط أعمالهم.

ومن المعلوم أن أعمال الكفار قسمان:

1. قسم هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض، فهذه أعمال أصلًا باطلة، لا يرجى من وراء أصحابها خير ولا يتوقعون عليها ثوابًا.

2. والقسم الثاني: أعمال يظنون أنها تُغني عنهم من الله شيئًا، كالصدقة، وصلة الأرحام، والإنفاق، وهؤلاء قال تعالى عنهم: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[1]، والله-عزَّ وجلَّ-شبَّه أعمالهم قال: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}[2]، وهؤلاء يفاجؤون يوم القيامة بأن عملهم باطل ضائع، مثل عُبَّاد اليهود والنصارى بعد البعثة النبوية، لا زالوا إلى اليوم يجهدون أنفسهم بعبادات وفعل خيرات وهم ليسوا على الصِّراط المستقيم، وأيضًا الذين أشركوا ممن انتسبوا إلى الإسلام، كل هؤلاء لا تنفعهم أعمالهم، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)}[3].

(1) [سورة النور: 39]
(2) [سورة إبراهيم: 18]
(3) [سورة الكهف: 104، 103]

إذًا علمنا من هذا أن هناك أشخاص مشكلتهم أنهم يسيرون في طريق يظنون أنه يوصل إلى الله، ولم يتحرَّوا هذا الطريق، فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي-يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ-: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} هُمْ الْحَرُورِيَّةُ؟ قَالَ: لَا، هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا لَا طَعَامَ فِيهَا وَلَا شَرَابَ"[1].

فهذه حال من أحوال هؤلاء يوم القيامة، أنَّ أهل الشقاء يجدون عندهم أعمال ولكن أعمالهم تصبح هباءً منثورًا، والألم كل الألم أن يظنَّ العبد أن له طريق للنجاة فيتعثَّر، ويظهر له أنه كان يظنُّ ويحتسب أنه يحسن صُنعًا، في مقابل ذلك أهل السعادة يتمتَّعون بأعمالهم، فكما مرَّ معنا أنه يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (103)}[2]، إذًا لا يحزنهم الفزع الأكبر.

وهؤلاء من بينهم جماعة قد أحسنوا صنعًا، فكانوا من الذين يظلّهم الله في ظلِّه، وهذا يجعلنا نقول إن في ذاك الموقف العظيم في أحد أحوالهِ يكون هناك وهج الشمس، ويذوق الناس من البلاء شيء تنوء بتحمُّله الجبال! فهؤلاء السعداء لا يعانون الكربات التي يقاسي منها الناس، فهم من السبعة الذين يظِّلهم الله تحت ظِلِّه:

1. الإمام العادل.

2. والشاب الذي نشأ في عبادة ربه، وألجم نفسه بلجام التقوى.

3. والذين يُعمِّرون مساجد الله، يجدون في رحابها الأنس بالله.

4. والمتحابون في الله، تجمعهم رابطة الأخوة يجتمعون على البر والتقوى، يتفرَّقون على عمل صالح.

5. ومن تعرض عليه فتنة النساء فيحوَّل خوف الله بينه وبين الوقوع في الفاحشة.

6. ومنهم المنفق، الذي يخلص دينه لله فيخفي الصدقة.

7. ومنهم الذي تملأ مخافة الله قلبه فتفيض عيناه من أجل ذلك.

(1) "صحيح البخاري" (كتاب التفسير/ باب {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا}/ 4728).
(2) [سورة الأنبياء: 101:103]

فالإظلال في ظل العرش أمر عجيب عظيم، وهؤلاء السبعة الذين ذكروا إنَّما هم نموذج ممن يظل تحت ظلِّ عرش الله، وليس مقصورًا على هؤلاء السبعة، وقد جمع ابن حجر الخصال التي يُظِلُّ الله أصحابها في كتاب سمَّاه: "معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال"، ومن بين الخصال غير السبعة قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ))[1]، فهذه خصلة عظيمة إذا فعلها الإنسان وهي (إنظار المُعسر أو الوضع عنه) سيكون الجزاء أن يظلَّه الله تحت ظلِّ عرشه، وأيضًا مَن نفَّس عن غريمه أو محى عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة، فهذه صفات الكُمَّل، ينفع الله بها العبد، لكن علينا أن نشتغل بمعرفة هذه الصفات، وأن نَحمِل أنفسنا على الإخلاص في هذه الصفات، لأنّ هذه الأعمال التي تُسبِّب الظلال ليست بشيء **إلَّا إذا كان معها الإخلاص**، وهذا هو الشرط العزيز الذي علينا أن نعتني به.

ومن الأعمال التي وراءها جزاء في ذاك اليوم: الذين يسعون في حاجة إخوانهم، ويسدُّون خلَّتهم، وقد مرَّ معنا الكلام حول ستر المسلمين، والكلام حول تفريج كربات المسلمين، والله المستعان.

من هؤلاء الذين لهم نصيبٌ وحظّ عظيم في ذاك الموقف القوم: الكاظمون للغيظ، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}[2] فعلى هذا روى الترمذي وأبو دواد أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ-عزَّ وجلَّ-عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ))[3]، فمن كظم غيظًا وهو قادر على إنفاذه، كان الجزاء في ذاك اليوم أن يدعوه الله على رؤوس الخلائق في الموقف العظيم، ويخيّره من الحور العين ما شاء. فسبحان ربنا الكريم كيف لا يُضيع عمل عامل عنده، ولا حتى حبس نفسك من غيظك، فاللهم يا رؤوف يا رحيم أصلح قلوبنا وسدِّد فهمنا وآرائنا.

ثم نذهب الآن بعدما سمعنا أحوال لأهل الشقاء وأحوال لأهل السعادة، الآن نسمع عن **شيء من حال العصاة**.

- ومن المعاصي الكبيرة الخطيرة: **التكبُّر**، وهذا يصدر من المؤمن ويصدر من الكافر، لكن هنا الكلام عن المؤمنين وأنها كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب، ففي الحديث عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...))[4]، والذرُّ: صغار النمل. وأنتم تعلمون كيف أن الناس لا يعتنون

(1) "سنن الترمذي" (كتاب البيوع/ باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به / 1306) قال الألباني: صحيح.
(2) [سورة آل عمران: 133، 134]
(3) "سنن أبي داوود" (كتاب الأدب/ باب مَنْ كَظَمَ غَيْظًا / 4777) قال الألباني: حسن.
(4) "سنن الترمذي" (كتاب صفة القيامة / باب عاقبة المتكبرين / 2492) قال الألباني: حسن.

بصغار النمل، فالتكبُّر من الكبائر العظيمة التي وراءها هذه العقوبة في العرصات، يعني عقوبة التكبُّر ما تكون للعبد في النار أو تقع على العبد بعد أن يوزن عمله إنَّما العبد لمَّا يكون متكبِّر يُحشر أمثال الذر يوم القيامة.

- أيضًا هناك ذنوب للعصاة تكون سببًا لفضيحتهم على رؤوس الخلائق ومن ذلك: **الغدر**، والغادر الذي يواعد على أمر ولا يفي به، وفي الحديث: ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ-عزَّ وجلَّ-الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ))[1] يعني مثل العَلَم راية، فاللواء هو الراية العظيمة التي لا يمسكها إلَّا صاحب جيش، وهذا الغدر كما في صحيح مسلم ((لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ))[2]، لماذا؟ لأن غدرته وهو يملك القوة والسلطان ضررها يتعدَّى إلى خلق كثيرين، ولا حاجة إلى الغدر مع ملكه للقوة والسلطان، فكُل من ولي شأن شيء، كُل من ولي أمر، كل من أصبح مسؤولًا عن شيء، لابدَّ أن يخاف من أن يكون غادر، يُحمل له لواء.

- أيضًا من الذنوب التي تظهر آثارها على عصاة المؤمنين: **من كذب في حلمه**، روى البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ،-يعني قال رأيت رؤية- كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[3]، **هاتان جريمتان: الكذب في الرؤى، والتصنُّت بكل أشكاله**، يسبِّب هذا العقاب العظيم.

إذًا علمنا من هذا أن عصاة المؤمنين يعذَّبون في العرصات، وقد سبق وأن عُذِّبوا في قبورهم، وهذا كله تخفيف عن ذنوبهم؛ لأن تعذيبهم في العرصات سبب من أسباب تكفير السيئات، وهذا من رحمة الله أن هناك عذاب تُكفَّر به السيئات ولا يكون مصير الإنسان-والعياذ بالله-الخلود في النار.

فنكون بذلك قد مررنا بشيء من السرعة على حال عصاة المسلمين، وعلى حال الكافرين، وعلى حال المؤمنين.

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الجهاد والسير/ باب تَحْرِيمِ الْغَدْرِ /1735).
(2) "صحيح مسلم" (كتاب الجهاد والسير/ باب تَحْرِيمِ الْغَدْرِ / 1738).
(3) "صحيح البخاري" (كتاب التعبير/ باب من كذب في حلمه / 7042).

ونختم اللقاء بتقرير أمر غاية في الأهمية: وهو **عقيدتنا في هذه الأخبار الصحيحة الثابتة عن النبي–صلى الله عليه وسلم–**حتى لو عقلنا ما استوعب كل تفاصيل هذه الأخبار التي في الكتاب والسُّنة عن هذا اليوم العظيم، لكننا نعبُد الله بتصديق الخبر، ونعبد الله أن نقوم بالأعمال التي تجعلنا نكون في أحسن حال في ذاك اليوم.

المهم الآن أن كل الأخبار التي تصلك في الكتاب والسُّنة عن ذاك اليوم لا تؤمر فيها بأن تفتح خيالك، وتجعل الأخبار التي تأتيك معارضة لعقلك، ولا تقل: ألم نسمع أن الدنيا تكون ظلمة فكيف هناك شمس؟! وكيف يكون بجوار بعضهم هذا يصل عرقه إلى كذا والثاني إلى كذا؟! هذه الأسئلة لا تصلُح مع عقيدةٍ سويَّة، والعقيدة السويَّة أنك تعرف أن الله على كل شيء قدير، وتعرف أن دار الدنيا حالها غير دار الآخرة، وأن الله هو الذي جعل الدنيا بهذه السُّنن، فالذي جعل الدنيا بهذه السُّنن يجعل الآخرة بسُّننٍ غيرها، فلا يكون شاغلك هنا إلَّا التصديق والاستعداد، هذا الذي يشغلك، لا يشغلك كيف، ولا يشغلك أن ترى أو أن تدور حول النصوص التي تعتقد أنها متعارضة، وهذا ليس تجهيل للعقل لكن تسيسًا له، فإن العقل أداة جعلها الله عندك لكي تَعقِل خطابه، لكي تفهم خطابه، فإذا عَقَلتَ خطابه عَقَلَك فهمك عن التعدِّي على حماه، فتبذل جهدك أن تبتعد عن الخطأ، وتبتعد عن المعصية، وتسأل الله صادقًا في الهداية إلى الصِّراط المستقيم.

نسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يجعلنا من أهل الصِّراط المستقيم، وأن ينجِّينا في ذاك اليوم العظيم، ويجعل خير أيامنا يوم أن نلقاه، ويجعل ما نمرُّ به من أزمات الدنيا وما نمرُّ به من كروب فيها تخفيف ورحمة، فاللهم آمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم به وبسنَّة خير العالمين.

نهاية اللقاء الخامس

اللقاء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نلتقي ونحن نرجو من الله أن يقبلنا نتدارس هذا الموضوع العظيم وهو **عقيدتنا في يوم القيامة**، وقد كنَّا مررنا على أحوال الناس يوم الحشر، وتفاوت أحوالهم مبني على الكفر والإيمان، وقوة الإيمان وضعفه، وقد مرَّ معنا أعمال يعملها الإنسان فيكون ممن يُلاقي الخيرات والبركات يوم القيامة.

ومن أولئك القوم: الكاظمون الغيظ، وقد ورد في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ-عَزَّ وَجَلَّ-عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ))[1].

وأيضاً من الأعمال التي لها قدرٌ عظيم: المتوضّئين، يقول النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ..))[2]، ورد في الحديث: ((تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنْ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ))[3]، الغُرَّة هي لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال وطيب الذكر، فهذا معناه نور في وجوه أمَّة محمد، وهذه الغُرَّة وهذا التحجّيل تكون للمؤمنين حِلية يوم القيامة ((تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنْ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ)).

ولذلك كان من الأعمال الصالحة المحبوبة التي هي من القرب اليسيرة السهلة (الوضوء)، فإن هذا العمل سببٌ لتذييل الإنسان يوم القيامة، وقد ورد في الحديث: ((وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))[4].

فدَّل على أن من دلائل الإيمان حفظ الإنسان لوضوئه ومعاهدته، وعدم ترك الإنسان نفسه إلَّا وقد تعاهد وضوءه. نتوسَّل إلى الله أن يشرح صدورنا للأعمال التي يحبها ويرضاها والتي يقبلها ويثقِّل بها موازيننا يوم أن نلقاه.

نأتي الآن للكلام حول الحساب والجزاء: ويراد بالحساب والجزاء: أن يوقف الحق-تبارك وتعالى-عباده بين يديه، ويُعَرِّفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف، ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له وما يُقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود، ووزن الأعمال، هذا كله يدخل في الحساب.

---

(1) رواه أبو داود في سننه (4777)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.
(2) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (136)، ومسلم في صحيحه (246)
(3) "صحيح مسلم" (كتاب الطهارة، باب تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ، 250).
(4) أخرجه ابن ماجه (278) واللفظ له، والبزار (2367)، والطبراني (443/13) (14295) وصحَّحه الألباني.

مرَّ معنا الحشر والمقصود به جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ لِي: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ؟)) قُلْتُ: لا، قَالَ: ((وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1]، هذا لمَّا رأى النبي-صلى الله عليه وسلم-وأبا ذر-رضي الله عنه-شاتين تتناطحين، وهذا دليل على أي شيء؟ دليل على أن الناس يحشرون وهذه الحيوانات تحشر للقضاء حتى أنه يُقضى بين هؤلاء.

وأرض المحشر كما مرَّ معنا أنها عفراء كقرصة النقيّ ليس فيها معلمٌ لأحد، واتَّفقنا أن صفة حشر العباد وجمعهم إلى أرض الموقف أنهم يحشرون حفاة بلا خُفٍ ولا نعلٍ ولا ملابسٍ، غُرلًا غير مختونين، ثم يُكسون، ومرَّ معنا أن الكسوة تكون أول ما تكون لإبراهيم الخليل ثم من بعده كلٌ على حسب تقواه، بعد ذلك تبيَّن لنا تفاوت الناس يوم القيامة، فلا يستوي حال المؤمن التقيّ وحال الكافر وحال الموحد العاصي، قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}[2].

ومرَّ معنا أن المتَّقين الأبرار هؤلاء يُأْمَنون، قال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}[3].

وأمَّا حال العصاة فهؤلاء يحصل لهم من العقوبات والآلام في العرصات ما يكون تخفيفًا عنهم.

وأمَّا الكفار فهؤلاء طارت أفئدتهم، ولشدَّة ما هم فيه من الخوف والهول ارتفعت أفئدتهم عن أماكنها ونشبت في حلوقهم، القلوب لدى الحناجر في ذاك الوقت، قال تعالى: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}[4]، وجوههم مُسودة، باسرة-نعوذ بالله من الخزي-{يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ}[5]، من كثرة الندم {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[6].

(1) رواه الطيالسي في مسنده، بإسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أصحاب المنذر.
(2) [سورة الحشر: 20]
(3) [سورة الأنبياء: 103]
(4) [سورة غافر: 18]
(5) [سورة النساء: 42]
(6) [سورة النبأ: 40]

الكافر منهم مستعدّ لافتداء نفسه يوم القيامة، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}[1].

يوم القيامة هؤلاء يتخاصمون في الموقف، قال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}[2]، والخصام بينهم عظيم، وله أشكال.

إلى أن يأتي الأمر العظيم إلى مجيء الربِّ-تبارك وتعالى-لفصل القضاء بين الخلق، وهنا يأتي الحساب، فبعد الحشر أتى الحساب، قال تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا}[3].

وفي هذا اليوم كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[4]، فالمقصود أن في ذلك اليوم يكون مجيء الله لعباده، ثم اجتماع الناس وهم محبوسين ينتظرون الحساب فتكون شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-في أهل الموقف لبدء الحساب، وفي هذا الحديث الطويل الذي يعود فيه أمر الشَّفاعة إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-، يقول النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي-عَزَّ وَجَلَّ-ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى))[5].

فمن هنا علمنا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يُشفَّع، يسمح له بالشَّفاعة العظمى التي فيها كل الخلائق فيشفع ويحمدونه الناس، فذلك هو المقام المحمود.

لكن ((أَدْخِلْ الجنة مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ)) هذا يكون بعد التحوُّل من الموقف والمرور على الصِّراط وسقوط من سقط في تلك الحالة في النار، ما يكون هذا الذي هو دخول من لا حساب عليه من الباب الأيمن إلَّا بعد المرور على الصِّراط وسقوط من سقط.

---

(1) [سورة يونس: 54]
(2) [سورة الزخرف: 67]
(3) [سورة الفرقان: 25]
(4) [سورة الفجر: 22]
(5) "صحيح البخاري" (باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} / 4712).

فكما علمنا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يأتي: "فيقوم فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالا...))[1]، فيمرُّ بعضهم كالبرق، إلى أن يأتي المنافقين ويكون حالهم ما هو معلوم، ((حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلا زَحْفًا قَالَ وَفِي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ))-نعوذ بالله من النار-.

وهنا يتبيَّن لنا شفقة النبي-صلى الله عليه وسلم-على أمَّته خاصة وعلى الناس عامة:

فأمَّا على أمَّته خاصة: أنه أخبأ دعوته شفاعة لأمَّته-صلى الله عليه وسلم-: ((فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا))[2].

ومن رحمته بالخلائق كلهم: أنه-صلى الله عليه وسلم-تشفَّع عند الله لكي يأتي الفصل بين الخلق.

هذا كله كان مدخل أوصلنا إلى الحساب، **فالحساب يكون يوم القيامة بالعدل التام والله سريع الحساب**، وفي هذا الموقف العظيم تكون أول أمَّة تحاسب هي أمَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-، ((نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ))[3]، وفي رواية ((إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً))[4]، يعني كنتم تمام سبعين أمَّة أنتم خيرها وأكرمها على الله، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، لكنه يحب الشاكرين فالأمر يحتاج إلى شكر.

لمَّا ننظر إلى أنواع الحساب سنجد الناس مختلفين في أنواع الحساب:

◊ **الفرقة الأولى:** الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب ولا مناقشة، وهؤلاء لا يحاسبون أصلًا، بل يدخلون بعد شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهذا من أعظم الشؤون التي تشغل الإنسان أن يكون من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا / 195).
(2) رواه مسلم (كتاب الإيمان / باب اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ--صلى الله عليه وسلم-دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لأُمَّتِهِ / 199).
(3) "سنن ابن ماجه" (كِتَابُ الزُّهْدِ / بَابُ صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ / 3482). صححه الألباني.
(4) رواه ابن ماجه في سننه (3480)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

◊ **الفرقة الثانية:** الذين يحاسبون حسابًا يسيرًا، وهؤلاء لا يناقشون الحساب بل تُعرض عليهم ذنوبهم، ويقرُّون بها، ثم يغفرها لهم الله–نستغفر الله ونتوب إليه–، وهذا معنى قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)}[1].

وقد ورد في حديث عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ: ((لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ))[2]، **مناقشة الحساب عذاب**، إنَّما ذلك العرض يعني الحساب المذكور في الآية: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} إنما تُعرض أعمال المؤمن حتى يعرف منَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوها عليه في الآخرة، الشأن عظيم والخطب جلل، ويحتاج منَّا تصنيف أنفسنا ومعرفة أين نحن من هذه الأمور العظام، والمعنى أن هؤلاء الذين يحاسبون حسابًا يسيرًا يصطفيهم الله ويختار هؤلاء لأعمالٍ جليلة، فترى هؤلاء ممن ستر عيوب المسلمين في الدنيا وترى هؤلاء ممن أخلصوا فكانت النتيجة أنهم يحاسبون حسابًا يسيرًا.

◊ **أمَّا من يحاسب حسابًا عسيرًا الفرقة الثالثة:** فهم الذين يناقشون الحساب، المقصود بمناقشة الحساب الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة، ومن نوقش الحساب هلك.

قال النووي معناه "نوقش بمعنى استقصى الحساب"، وأمَّا عذاب هذا فإنه نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها تعذيب، لما فيه من التوبيخ أو أنه مُفضي إلى العذاب بالنار، يعني من نوقش الحساب فقد عُذِّب معناه أن هناك أسباب تجعل الإنسان يناقش الحساب، فإذا ناقشه سيكون عذابه إمَّا أن نفس المناقشة تعذيب، أو أن هذه المناقشة تُفضي للعذاب بالنار، نعوذ بالله من النار ومن الأسباب الموصلة إليها، ونسأل الله أن يسلِّمنا ويسلِّم عقائدنا.

ونعلم مما سمعنا أن هذا الموقف العظيم الذي نحن مؤمنين أن الله يأتي للقضاء والفصل بين الخلق يوم القيامة، وفي هذا الوقت العظيم الذي هو بداية الحساب: هناك قوم ينجِّيهم الله، وهناك قوم يحاسبهم حساب يسيرًا، وهناك قوم يحاسبهم حسابًا عسيرًا.

فاللهم يسِّر حسابنا، ويمِّن كتابنا، وأحسن لنا خواتيمنا، واصرف عنَّا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

(1) [سورة الانشقاق: 7–8]

(2) صحيح البخاري" (كتاب الرقاق / باب القصاص يوم القيامة / 6537).

هذا ما تيسَّر ذكره في هذه العجالة، نسأل الله أن ييسِّر لنا أوقاتًا أخرى نجتمع فيها على ذكره وشكره-سبحانه وتعالى-وحسن عبادته.

نهاية اللقاء السادس

اللقاء السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نستعين بالله ونطلب منه الرُّشد والسَّداد، ونتكلَّم عن موضوع من أعظم المواضيع نتكلَّم عن **"الحساب"**، الذي لا بدَّ أن يكون، ولا مهرب منه.

وقد اتَّفقنا على معرفة الحساب وكيف أن الناس يُعرضون على الله-عزَّ وجلَّ-للحساب ظاهرين لا يسترهم شيء قال تعالى: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ}[1]، ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}[2]، يعرضون على عَلَّام السر والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}.

وهذا اليوم العظيم الذي يحدث فيه البعث والحشر والحساب، مرَّرنا على البعث والحشر والحساب.

الآن نحن في الحساب، **الذي نعلم أن فيه العدل التام في حُكم الله بين الخلائق، لا يظلم-سبحانه وتعالى-مثقال ذرة من خيرٍ ولا شر قال تعالى:** {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}[3] ونحن نحفظ ونردد قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[4].

وهو-سبحانه وتعالى-مع عدله يتفضَّل على خلقه فيجازي بالحسنة عشرة أمثالها وبالسيئة واحدة قال تعالى: {مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا}[5]. ولهذا يقول-سبحانه وتعالى-: {لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ}[6].

وفي الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ-عزَّ وجلَّ-، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))[1].

---

(1) [سورة غافر:16]
(2) [سورة الحاقة: 18]
(3) [سورة النساء: 40]
(4) [سورة الزلزلة: 8،7]
(5) [سورة الأنعام:160]
(6) [سورة غافر: 17]

موقفٌ عظيم لا بدَّ من الاستعداد له.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: خَرَجَ هَرِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ فَبَيْنَمَا رَوَاحِلُهُمَا تَرْعَى إِذْ قَالَ هَرِمٌ: أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ كُنْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو، قَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَأَكَلَتْنِي هَذِهِ النَّاقَةُ ثُمَّ بَعَرَتْنِي، فَاتُّخِذْتُ جُلَّةً–وهو البعر الذي يستعمل في الوقود–وَلَمْ أُكَابِدِ الْحِسَابَ. يَا ابْنَ أَبِي عَامِرٍ، وَيْحَكَ، إِنِّي أَخَافُ الدَّاهِيَةَ الْكُبْرَى.

وهو أمر يستحق الخوف الشديد، ومن المعلوم أن هذا الحساب هناك أمم تتقدَّم وأمم تتأخَّر فيه.

وروى في ذلك ابن ماجه حديث في سننه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: "نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ"[2] فنحن آخر الأمَّة وخيرها.

وقد اتَّفقنا في أنواع الحساب أن هناك ثلاثة فرق: فرقة لا يحاسبون أصلًا وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب، وفرقة تُحاسب حساباً يسيرًا وهذه أيضًا تكلَّمنا عنها، وفرقة تُحاسب حسابًا شديدًا وهذه الفرقة يكون منها مسلم ومنها كافر.

وعرفنا أن الفرقة الأولى: هي التي تدخل الجنة بغير حساب.

والثانية: الذين يحاسبون حسابًا يسيرًا، كما في حديث عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ: ((إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ))[3].

ومعنى أن ذلك العرض مقصود به: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)}[4].

فما هو الحساب اليسير؟ هو العرض.

ما هو العرض؟ أن تُعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنه في الآخرة، وتذكرون مرَّ علينا حديث النجوى الذي فيه ابن عمر.

---

(1) "صحيح مسلم" (البر والصلة والآدب / باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ /2577).
(2) "سنن ابن ماجه" (كِتَابُ الزُّهْدِ / بَابُ صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ / 3482)، صححه الألباني.
(3) "صحيح البخاري" /كتاب الرقاق / باب من نوقش الحساب عذب/ 6537).
(4) [سورة الانشقاق: 7،8]

قد مرَّ معنا حديث النجوى لكي نفهم ما معنى حسابًا يسيرًا نجمع بين قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)} وبين ما رواه البخاري عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}))[1].

فالمعنى أن هذا هو الحاسب اليسير الذي يذكر فيه الإنسان أعماله التي عملها من الشر والخطأ، ثم لما يذكَّر بها يُستر عليه فيها، ويقول الله-عزَّ وجلَّ-له سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، أمَّا الكافر فيُفضح على رؤوس الخلائق-نعوذ بالله من الفضيحة-.

وفي رواية أخرى: أن اللَّهِ-عزَّ وجلَّ-يقول: ((فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ))[2] يعني لم أفضحك بها في الدنيا وسأغفرها لك في يوم القيامة.

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: ((لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[3].

نسأل الله أن يسترنا ويستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا اللهم آمين.

وقد مرَّ معنا أن من سَتَرَ عيوب المسلمين سَتَرَ الله عيبه، والسِّتر من الأعمال التي نتقرَّب بها إلى الله، "لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". الحمد لله هذا أمر مفهوم، ومرَّ معنا ونحن نؤكده.

ورأينا أيضًا الفرقة الثالثة الذين يحاسبون حساب عسيرًا، في حديث عائشة: "إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَا عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ"[4] أو "مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ"[5]، ومعنى "نُوقِشَ": استقصي عليه، وقوله "عُذِّبَ" له معنيان:

(1) "صحيح البخاري" (كتاب المظالم / بَابٌ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} / 2441).
(2) "صحيح مسلم" (التوبة / باب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ / 2768).
(3) "صحيح مسلم" (البر والصلة والآدب / باب بِشَارَةِ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ /2590).
(4) أخرجه مطولاً أحمد (24261)، وابن خزيمة (849)، والحاكم (7636) واللفظ له
(5) "صحيح البخاري" /كتاب الرقاق / باب من نوقش الحساب عذب/ 6536).

1. أمَّا أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما في ذلك من توبيخ.

2. أو أنه مُفضي إلى النار لا محاله والعياذ بالله.

والذي يظهر أنه الثاني، وأن يكون هذا الشخص غلبت عليه شقوته ودخل النار بسبب أعماله.

وهؤلاء قسمان:

* مسلمون عظمت ذنوبهم وكثرت فنوقشوا الحساب وعسر عليهم ومن أمثلة ذلك المُرائين، روى مسلمٌ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: "تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلٌ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[1].

فهؤلاء غلبت عليهم شقوتهم وكان مصيرهم إلى النار إلَّا ونحن نعتقد أنهم يخرجون منها بعد أن تُكفَّر عنهم سيئاتهم.

* النوع الثاني الكفار الذين أشركوا بالله تعالى والمنافقون فهؤلاء حسابهم عسير، ويفضحون ويخزون على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والأنبياء وسائر البشر والجان، وكما مرَّ معنا يقال: {هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[2].

وهناك خلاف هل الكافر يحاسب ويُسأل أم أنه-والعياذ بالله-يؤمر به إلى النار من غير حساب؟ الظاهر-والله اعلم-**أن الحساب يُراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات والسيئات**، وهذا نوع وهذا نوع من الحساب.

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الإمارة / باب مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ / 1905).
(2) [سورة هود: 18]

أمَّا الكافر فيحاسب النوع الأول: أنه تُعرض أعماله ويوبَّخ عليها.

أمَّا الثاني: فهو-والله أعلم-للعصاة من أهل الإيمان.

ويقال إنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خُفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخفُ عذابًا من أبي لهب.

والله-عزَّ وجلَّ-يقول: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ}[1]، بسبب ماذا؟ أنهم صدوا عن سبيل الله، فالنار كما هو معلوم دركات، كما أن الجنة درجات، والله-عزَّ وجلَّ-يقول: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم}[2]، فهؤلاء من خفت موازينهم معناه أن أعمال الكفار توزن فتخف موازينهم، ومثله: { فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}[3].

فالظاهر أن الكفار يُسألون ويحاسبون عن ما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه، وإذا كانوا يحاسبون معناها سيُسأل عن الإخلال بأي شيء من الدين، ولذلك قال تعالى: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}[4]، فتوعَّدهم لأنهم مانعي الزكاة وهم أصلًا ليسوا بمؤمنين.

ومثلهم في الخبر عن المجرمين أنه يقال لهم {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44)}[5]، يعني عدم إطعامهم هذا من الفروع {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46)}[6].

فالآن توجد أصول للإيمان وتوجد فروعها، كلها كأنهم حوسبوا عليها، أنهم مسؤولون عنها محاسبين عليها، كونهم لم يفعلوها هذا عيبٌ يلحقهم، والله-عزَّ وجلَّ-يقول: {وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}[7]، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[8]، ماذا سيحصل؟ {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

(1) [سورة النحل: 88]
(2) [سورة الأعراف: 9]
(3) [سورة القارعة: 9]
(4) [سورة فصلت: 7،6]
(5) [سورة المدثر: 44:42]
(6) [سورة المدثر: 46،45]
(7) [سورة الصافات: 24]
(8) [سورة العنكبوت: 12]

مَّعَ أَثْقَالِهِمْ}[1]، ويأتي الأمر الثاني: {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[2] وهذا لا يشوِّش عليه أنك تعرف أن في بعض المواطن {وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}[3]، {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[4]، وهذا ليس تعارضًا لأن في القيامة مواطن، فموطن يكون فيه السؤال والكلام وموطن لا يكون فيه.

فنسأل الله السلامة من حال الأشقياء، ونعوذ بالله من الرياء، ونسأل الله أن نكون من الأتقياء اللهم آمين.

هذا ما تيسَّر ذكره في هذه الحلقة المختصرة، أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يغفر لنا ذنوبنا ويخفف عنا الطريق وييسره لنا، ويجعل ذاك اليوم من أخف الأيام وأحسنها علينا.

نهاية اللقاء السابع

(1) [سورة العنكبوت: 13]
(2) [سورة العنكبوت: 13]
(3) [سورة القصص: 78]
(4) [سورة البقرة: 174]

اللقاء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله وبمنّته نتدارس سويًا أحوال من أحوال يوم القيامة نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يكون هذا اليوم خير أيامنا وأن يكون لقاؤنا بربنا بعد شوقنا إلى لقائه خير لقاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كنَّا مررنا على مسائل كثيرة ومتعدِّدة في **مسألة يوم القيامة**، إلى أن وصلنا إلى **مسألة إقامة الشهود** في ذلك اليوم العظيم **وفي مشهد الحساب** يُقيم الله تعالى الشهود على الخلائق فيشهدون عليهم بما فعلوه، وهذا من كمال عدله-سبحانه وتعالى-، ومن إعذاره للعالمين حتى لا يبقى لأحدٍ حجَّة، ويقر الجميع بعدل الله ويشهدون بحمده {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[1]، وقضي الأمر وحُكم بالعدل بين الخلائق، وهذا من كمال عدله وأيضًا من كمال إحسانه لخلقه؛ **لأنه يشهد على الطائعين شهود كما يشهد على العاصين شهود.**

وفي ذاك اليوم العظيم تحصل أنواع من الشهادات:

- **وأعظم شهيد وأجل شهيد على الخلائق يوم القيامة خالقهم وفاطرهم-سبحانه وتعالى-الذي يعلم جميع أحوالهم؛** ولذلك يقول الله-عزَّ وجلَّ-: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}[2]، ويقول واصفًا نفسه-سبحانه وتعالى-{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}[3] **فإذًا أعظم شهيد سيكون على الخلق هو-سبحانه وتعالى-.**
- **وأيضًا الملائكة تشهد يوم القيامة** {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}[4].

نفس كل بر وفاجر معها سائقٌ يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.

- **والرسل أيضًا يشهدون على أممهم بالخير والشر** قال تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ}[1].

---

(1) [سورة الزمر: 75]
(2) [سورة يونس: 61]
(3) [سورة الأحزاب: 55]
(4) [سورة ق: 21]

وهذا أمرٌ عظيم أمر شهادة الرسل على أقوامهم؛ ولذلك يقول الله–عزَّ وجلَّ–: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[2].

- **فأمَّة محمد–صلى الله عليه وسلم–هي العدل الخيار، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم، ومن ذلك شهادة هذه الأمَّة على غيرهم يوم القيامة.**

يعني في يوم القيامة يحصل الموقف العظيم ويجتمع المرسلين مع أقوامهم ويُسأل الله المرسلين عن تبليغهم والأمم المكذِّبة تُكَذِّب، وتُنكر أن الأنبياء بلَّغتهم، فماذا يحصل؟ يستشهد الأنبياء بهذه الأمَّة، فيا له من موقف عظيم!

روى ابن ماجه في سُننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ–للنبي–: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[3]"[4]

إذًا الله–عزَّ وجلَّ–أعظم شهيد، والملائكة تشهد والرسل يشهدون، وأمَّة مُحمد–صلى الله عليه وسلم–تشهد على أمم الرسل.

- **وأيضًا تشهد الأرض بما عملت الخلائق على ظهرها، قال تعالى:** {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}[5].

يؤمئذ تحدث أخبارها: بمعنى تحدِّث بما عمل العاملون على ظهرها، وبما اقترف المقترفون وبما سار السائرون، والله المستعان.

- **وتشهد أيضًا أعضاء الإنسان عليه** {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]، فكل جارحة تشهد عليهم بما عملت، يُنطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكن أن تنكر.

---

(1) [سورة النحل: 89]
(2) [سورة الحج: 78]
(3) [سورة البقرة: 143]
(4) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد، 4284) ، صحَّحه الألباني.
(5) [سورة الزلزلة: 1:4]

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَضَحِكَ، فَقَالَ: ((أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟)) قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ))[2].

يعني عن أعضائه كان يُناضل، ومع ذلك يُنطق الله-عزَّ وجلَّ-أعضاءه وكأنه كان يريد أن يقول: أنا لا أريد إلَّا شاهدًا مني. مُستبعدًا أن تشهد عليه أعضاءه، فختم الله على فيه وجعل أعضاءه تنطق.

فيا ويلتنا! من موقف مثل هذا الموقف، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟)) قَالُوا: لَا، قَالَ: ((فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟)) قَالُوا: لَا، قَالَ: ((فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا)) قَالَ: ((فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ. فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ. فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ!. نعوذ بالله من أن ننسى ربنا العظيم الكريم-سبحانه وتعالى-.

ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ".[3]

فهؤلاء الشهود، الله العظيم شهيد على الخلق، ثم الملائكة الكرام شهداء، ثم الرسل ثم، أمَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-على بقيَّة الأمم، ثم الأرض تشهد، ثم أعضاء الإنسان تشهد، والله المستعان.

---

(1) [سورة النور: 24]

(2) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الزهد والرقائق، 2969).

(3) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الزهد والرقائق، 2968).

وهذه مواقفٌ عظيمة من مواقف الحشر إذا تأمَّلها العبد كان في حذرٍ من أن تشهد عليه أعضاءه أو تشهد عليه الملائكة الكرام وهو غافلٌ عن شهادة الأعضاء وشهادة الملائكة الكرام، والخلق لا يستترون من أعضائهم وقت وقوعهم في الذنوب أو تعدِّيهم الحدود لأن غفلةً أصابتهم، وعمىً وصمم أُبتلوا به، فيقرؤون القرآن ويعلمون أنهم سيكون عليهم شهود من أنفسهم ومع ذلك نغفل والله وليُّنا، نغفل عن هذه الحقائق العظيمة، نغفل أن ملائكة ستشهد، وأن أبداننا ستشهد، وأن كل عضو استعملته في خير أو شر سيشهد، فما بالك لا تشرك أعضاؤك في الخيرات ولا تمنعها عن الشرور والآفات، ما بالنا نقتحم المُهلكات بأقدامنا وبقوَّتنا وبعزائمنا نفعل هذا، والله المستعان.

ولذلك إذا جمعت حُسن نيةٍ مع سعي بدن فقد أعتقت بدنك من ذلك اليوم العظيم، وأحسنت إلى نفسك بأن تشهد أعضاؤك أنك ما سرت إلَّا لخير، فصدقٌ من جهة القلب أنك تريد خير، وشهادة من جوارحك أنك تريد خير، فإن ساعٍ يسعى في تفريج كربة أخيه، قلبه يريد الأجر من الله في تفريج الكربة، وبدنه يتحرَّك لتفريج الكربة، يعني تسعى معه إلى حاجته، تسعى معه مثلًا في تصحيح وضعه لإصلاح شأنه، لإيصال مال إليه، لإيصال طعام إليه، نيتُك صحيحة، وقدمك وبدنك ارتحل من أجل تفريج هذه الكربة، فيا لسعادتك يوم القيامة، تشهد عليك أعضاؤك، قدمك التي سرت بها، ويدك التي أعطيت بها، ونظرك الذي بحثت به، ونفسك التي تشوَّقت بها للخير كلها تشهد لك وتكون قد أحسنت أنت إليها.

لكن الناس على ضربين في هذه المسألة:

1. فقوم لا يحسنون أصلًا لا في قلوبهم ولا في أبدانهم، وإن أحسنوا في قلوبهم فلا يحسنون في أبدانهم، يعني يصبح لهم نيَّات صحيحة يريدون خيرًا لكن لا تجدهم يسعون بأبدانهم إنَّما هو مجرَّد كلام بألسنتهم مع عدم صدق في إرادته، فهذا ضرب قد ضيَّع نفسه.
2. وضربٌ آخر أيضًا قد ضيَّع نفسه، وهو ضربٌ سعى وبذل ببدنه لكن قلبه تائه، مرَّة لا نيَّة له في عمله، لا يستحضر لا في أول العمل ولا في آخره ولا وسطه ولا أي شيء، ما يستحضر رضا الله في أي شيء من هذا، مرَّة يعمل ويمتنَّ، مرةً يعمل ويُعاير، مرَّة يعمل وهو يتأسَّف على أنه عمل ويتحسَّر على أنه أنفق من ماله أو سعى أو أعطى، فهؤلاء يا خيبتهم سعوا بأبدانهم أتعبوها وأفقدوها الخيرات.

ولذلك ترى المثل الذي ضُرب للمال في القرآن مثل عظيم يحتاج منَّا تأمل، ويا حسرة ويا خيبة من جمع لنفسه بين تعب البدن وخسارة الأجر والعمل، وكل هذا من أجل أن الشيطان تولَّاه، وسيطر عليه، وتخبَّطه، فيُحسن ببدنه ويسيء بقلبه.

والأول: أساء بأن جعل الأمر في قلبه ولم يُحسن في بدنه ولم يعمل.

والرابح هو: ذاك الذي جمع بين نية في القلب، صدق إرادة وجه الله، وعمل وسعي ما استطاع، فيأتي لسانه وقلبه وجوارحه وفخذه ويده وأقدامه وساقه كلها شاهدة له، ينتفع بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم، فهذا من جهة شهادة أعضاء البدن على الإنسان.

أمَّا من جهة شهادة أمَّتنا على الأمم وشهادة المؤمنين على الأقوام فإنه يترتب على قدر تصديقنا بأخبار نبينا-صلى الله عليه وسلم-عن هؤلاء الأقوام، وبقدر علمنا وتحصيلنا حول هؤلاء الأقوام وكيف بيَّن الله-عزَّ وجلَّ-هؤلاء في القرآن يظهر لك وكيف وصفهم تفهمه، وكيف بيَّن حالهم، كل هذا عليك أن تستوعبه وتفهمه، وتعيده على نفسك، مستعد لموقف الشهادة لتكون أهلًا لأن تشهد مع نبيك-صلى الله عليه وسلم-على الأمم، عليك أن تستعد لموقف الشهادة بمعرفة أحوالهم، بمعرفة شؤونهم التي وردت لك في القرآن ووصفه لك النبي-صلى الله عليه وسلم-، فلا تترك ما أُخبرت به وتبقى على أخبار لست بها متيقِّن ولا عن تفاصيلها تعرف، فهذا مما يضعفك، ومما يدل على ضعف إيمانك ضعف تحصيلك عن هؤلاء الأنبياء وأقوامهم، وما حدث معهم، وكيف كان الحوار، وماذا قالوا، وماذا قال لهم الأنبياء، وكيف نجى الله الأنبياء وأهلك هؤلاء، ضعف تحصيل العلم عن هذا الركن **"ركن الإيمان بالأنبياء"** يُسبِّب لك ضعف الإيمان، فلا تحرم نفسك من هذا الباب واستعد له يعني اقرأ وادرس، وأنت مستعد لأن تكون شهيدًا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-وتكون أنت من أمَّته.

أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعل ذاك اليوم خير أيامنا، وأن نكون ممن شهد مع النبي-صلى الله عليه وسلم-على الأمم، وهو مصدقٌ ثابتٌ في تصديقه.

هذا ما تيسَّر ذكره في هذا اللقاء، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-بمنِّه وكرمه أن يجمعنا مرَّات ومرَّات حول هذا الموضوع المهم ونحن في صحة وعافية من إيماننا وتقوانا.

نهاية اللقاء الثامن

اللقاء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا التاسع من ضمن لقاءات الإيمان باليوم الآخر، وقد مرَّ معنا مجموعة مفاهيم نكملها اليوم إن شاء الله في الكلام حول صفة إيتاء العباد صُحف أعمالهم.

وقد مرَّ معنا سابقًا الكلام حول الحساب، وكيف أن هناك حسابًا يسيرًا، وهناك والعياذ بالله حسابًا عسيرًا، وقد تناقشنا في إقامة الشهود على الإنسان، واتَّفقنا أن الله أعظم شهيد، وأن الملائكة شهداء، وأن الرُسل شهداء، وأننا شهداء على الأمم، وأن الأرض تشهد علينا، وأن جوارحنا تشهد علينا.

ونأتي اليوم إلى صفة إيتاء العباد صُحف أعمالهم، كما هو معلوم أن الله وكَّل بني آدم في حياتهم الدنيا، وكَّل عليهم ملائكة يكتبون عليهم أعمالهم قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[1]، فعمل ابن آدم محفوظ ومكتوب ومجموع في كتاب يُعطاه يوم القيامة منشورًا: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا}[2].

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ} بمعنى ما طار عنه من عمله، سواء كان من خيرٍ أو شر، ولماذا في عنقه؟ العنق عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد، من ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه، ويقال له: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}[3]، يعني اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، وحسبك اليوم نفسك عليك تحسب وتفند وترى ما فعلت.

ولذلك في سورة يونس قال تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ}[4]، ما معنى: {تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ}؟ يعني تُختبر وتقلب كل نفس ما أسلفت، تنظر كل نفس إلى عملها وتُقلبه، وتختبر صحته، وهل كان لله أم لغيره! وهل هو على سُنة النبي-صلى الله عليه وسلم-أم مخالف لسُنته؟ ما أصعب هذا الموقف! والله المستعان.

حسبك اليوم نفسك عليك حاسبًا يحسب أعمالك فيُحصيها عليك، قال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}[1].

(1) [سورة الانفطار: 12:10]
(2) [سورة الإسراء: 13]
(3) [سورة الإسراء: 14]
(4) [سورة يونس: 30]

تَلَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}[2] فقال: يا ابْنَ آدَمَ، بَسَطْتُ لَكَ صَحِيفَتَكَ وَوَكَلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ، حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ فَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا تَلْقَاهُ مَنْشُورًا {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} قَدْ عَدَلَ–وَاللَّهِ–عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

إذًا في هذا الموقف يأخُذ الإنسان صُحف أعماله، وتُختبر صحة هذه الأعمال، فما الذي يكتب في صحف الأعمال؟ {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[3]، الملَكان اللذان يكتبان عمل الإنسان "**الحسنات والسيئات**" كُلٌ منهما مترصّد ومتهيّئ لعمله الذي أعدَّ له، ما يتكلَّم ابن آدم بكلمة من خير أو شر إلَّا وله من يرقبها ويكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة ولا شيء من قول أو عمل.

عن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ))[4] والله المستعان.

وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُوسٍ–أحد رواة الحديث–أَنَّهُ قَالَ: "يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ" فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويدخل فيما يكتبه الملائكة: أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، وما نواهُ العبد، وما همَّ به من الحسنات والسيئات، **ولذلك لابدَّ من رعاية قلوبنا** ألَّا تكسب سوءً، ولابدَّ من رعاية جوارحنا ألَّا تقترف ما لا يُرضِي الله؛ لأن كل هذا مكتوب، وسيخرج لك وستكرهه إن كان في غير رضاه. فالله وحده المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

إن في ذلك اليوم العظيم يوضع الكتاب كما قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[5]، يُشفق المجرمون من أعمالهم

---

(1) [سورة الإسراء: 14]
(2) [سورة ق: 17]
(3) [سورة ق: 18]
(4) رواه أحمد في مسنده، والترمذي وابن ماجه في سننهما، وصححه الألباني.
(5) [سورة الكهف: 49]

السيئة، وأفعالهم القبيحة، يقولون: يا حسرتنا، ويا ويلتنا على ما فرَّطنا في أعمالنا، مال هذا الكتاب لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا إلَّا أحصاه وضبطه وحفظه.

وكان الفضيل ابن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: "يَا وَيْلَتَنَا، ضَجُّوا مِنَ الصَّغَائِرِ قَبْلَ الْكَبَائِرِ".

لأنهم يقولون: {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً}، ونحن كم من صغائر الذنوب لا نُلقي لها بالًا، وربما هالنا اجتماع هذه الصغائر علينا، وربما هالنا كثرة سطورها في كتبنا، وربما كانت سبب هلاك.

ورد في الحديث: ((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ هَذَا بِعُودٍ وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ))[1].

ولذلك في الحديث الذي رواه ابن ماجه؛ عن أُمُّنا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

((يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقِّرَاتِ الأَعْمَالِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا))[2].

يعني أنت تظنُّها صغيرة لكن تُحاسب عنها وتُطالب بها، فهي تؤول إلى عظيم، مُحقرات الذنوب إذا كثُرت صارت كبارًا وهي مما يُكتب في الصحف.

عَنْ أَنَسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-قَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنَ الْمُوبِقَاتِ" قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

لذلك حين يأتي قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[3]، أحصاه الله ونسوه هُم {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ-عَزَّ وَجَلَّ-أَنَّهُ قَالَ:

((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ-عَزَّ وَجَلَّ-. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))[1].

---

(1) رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.
(2) "سنن ابن ماجه" (كتاب الزهد / بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ / 4243) قال الألباني: صحيح.
(3) [سورة المجادلة: 6]

فلابدَّ أن نتصوَّر الموقف على حقيقته، تطايرت الكتب، ونُصبت الموازين، ونودي باسمنا على رؤوس الخلائق: ابن فلان ابن فلان هلُمَّ إلى العرض على الله، وقد وكِّلت الملائكة بأخذ فلان هذا فقرَّبته إلى الله، لا هناك تشابه في الأسماء ولا هناك خطأ في الاستدعاء، إذا حصل هذا طار القلب! اضطربت الجوارح، ماذا يحصل لك؟ صحيفة تخبر بكل عملك، لا تغادر بلية كتمتها ولا فعلًا أظهرته إلَّا وقد كُتب عليك، وكم من عمل ظننَّا أنه لنا وأنه مُخلص فيأتي إحباطه في ذلك اليوم! يا للحسرة والأسف على ما فرطنا في طاعة ربنا!

ولهذا التطاير ولهذا الحساب لابدَّ أن تحسب حساب وتعيش تحمل همَّهُ وتعُدُّ لكل سؤال جواب، وتنصرف عن ذكر الدنيا وما فيها من ملذَّات وأحباب.

وهذا الذكر لا يشوِّش عليك قضاؤك للواجبات المتحتِّمات في الدنيا إنَّما يشوش عليك اللهو، يشوِّش عليك الانفلات، يعني ذكر هذه الدار وذكر الحساب يجعلك في حالة لا تقبل معها تضييع الوقت ولا نسيان الذكر ولا عدم الانتفاع بساعاتك، يصبح ضياع الوقت والاجتماعات الطويلة والكلمات غير المسؤولة واللعب كله أمر مكروه، كله أمر يزعجك.

وفي ذاك اليوم يؤتى الناس كتبهم على حسب حالهم، فالمؤمن يؤتى كتابه بيمينه، وعلى ذلك يكون حسابه يسيرًا، تُعرض عليه أعماله، ويُقر بها، ويغفر الله تعالى له، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}[2]، وهنا يأتي الفرح والسرور والعبور إلى جنات النعيم {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}[3].

أمَّا الأشقياء والهالكين نعوذ بالله من حالهم فيُعطي أحدهم كتابه بشماله، ومن وراء ظهره، ووقتها يدعو بالهلاك على نفسه {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا}[4]، ويتمنى أنه لم يؤتَ كتابه، ولم يدرِ أي شيء حسابه، ويتمنى أن الموتة التي ماتها في الدنيا كانت موتة لا حياة بعدها!.

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ}[5]، الذي ألهاني، {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}[1]، الذي ظننت أنه ينفعني.

---

(1) "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآداب / باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ / 2577).
(2) [سورة الانشقاق: 8،7]
(3) [سورة الحاقة: 20،19]
(4) [سورة الانشقاق: 11،10]
(5) [سورة الحاقة: 28:25]

فإذًا يأخذ الناس صحفهم فيُبلون عملهم، وينظرون إليه ثم يتقدمون للحساب، وهناك من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهناك من يحاسب حسابًا عسيرًا، والناس في ذلك على حسب أحوال قلوبهم وفضائل أعمالهم.

حتى أهل الحساب اليسير أكيد أنهم-والله أعلم-يتفاضلون، ويختلفون بينهم في درجاتهم، فإذا علمنا أن أخذ الكتاب باليمين دليل على دخول الجنة، ودليل على رضا الله، كان مما يُمدح أن **تكثر من سؤال الله أن يحاسبنا حسابًا يسيرًا**؛ لأن من نوقش الحساب فقد عذِّب، فنحن في حاجة عظيمة إلى أن نوقى شر ذاك اليوم.

ووقاية شر ذاك اليوم:

- بالأعمال الصالحة.
- والتوبة والاستغفار.
- وبذل الجهد في إصلاح النفس وتزكيتها.

فالخطر من النفس، التي تحتاج في تزكيتها طوال العمر، فإن ما وهبته من عمر إنما وهبته لكي تستعد للِّقاء.

بعد تطاير الصحف وأخذ الكتل يأتي السؤال: **العبد يُسأل عن كل شيء فعله؟**

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[2]، {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[3]، فيُسأل عن كل أعماله التي عملها، وخاصة بعض الأعمال التي نُص عليها، يسأل الله تعالى الرسل عن إبلاغ رسالته، ويسأل الأمم عمَّا أجابوا الرسل، ويُسأل الكفار والمشركين عن شركهم، ويُسأل الصادقين عن صدقهم.

هذا الموقف العظيم، السؤال فيه من أسباب الخوف وفيه من أسباب الرهبة ما فيه، **فمن أراد الأمان هناك** فليحرص هنا على الأعمال الصالحة، وعلى تزكية النفس، وعلى طهارة القلب، وعلى حُسن التوجُّه، والتوكُّل على الله.

والحقيقة أن التوبة من أعظم الأعمال لصحيفةٍ بيضاءٍ، ولحسابٍ يسيرٍ.

---

(1) [سورة الحاقة: 29]
(2) [سورة الأنبياء: 23]
(3) [سورة الحجر: 92،93]

فاللهم تُب علينا، اغسل حوباتنا، طهِّر قلوبنا وأعمالنا من الشرك والرياء، وطهِّر قلوبنا من الشكِّ والنفاق إنك وليُّ ذلك والقادر عليه.

هذا ما تيسَّر ذكره، غدًا إن شاء الله نُكمل الكلام حول الأمور التي يُسأل عنها العبد.

نهاية اللقاء التاسع

اللقاء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده–سبحانه وتعالى–ونشكره أن يسَّر لنا الأسباب، وأن سبَّب الأسباب ويسَّرها لنا أن نجتمع ونتدارس عن هذا اليوم العظيم الذي لابدَّ أننا ملاقوه، وهذا–بفضل الله–لقاؤنا العاشر والأخير في سلسة اللقاءات حول اليوم الآخر.

وصلنا في الكلام حول هذا اليوم العظيم إلى الكلام حول ما يُسأل عنه العبد، وكان تبيَّن لنا أنه يُسأل عن كل شيء صغير وكبير، وأنه يُسأل عن عمره وعمله وماله وجسمه.

ونبدأ الآن بمناقشة ما يُسأل عنه العبد.

✹ **فمما يُسأل عنه العبد يُسأل عن الدين ونصرته والقرآن والعمل به،** والله يقول في سورة الزخرف: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}[1]، عن هذا الذكر.

إذًا يُسأل عن الدين ونصرته والقرآن والعمل به، ولذلك علاقتنا بالقرآن لا بدَّ أن تكون مبنيَّةٌ على أنك ستُسأل عن القرآن، عن ماذا كنت تفعل.

✹ **أيضًا يُسأل الإنسان الكافر عن كفره وشركه، قال تعالى:** {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ}[2]، وفي الشعراء {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ}[3].

✹ **أيضًا يُسأل الإنسان الكافر عن كذبه في حق الملائكة، قال تعالى:** {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[4].

(1) [سورة الزخرف: 43،44]
(2) [سورة النحل: 27]
(3) [سورة الشعراء: 92]
(4) [سورة الزخرف: 19]

✹ **من الأمور أيضًا التي يُسأل عنها العبد: يُسأل عن النعيم الذي أنعم عليه به في الدنيا، قال تعالى:** {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[1]، وفي الحديث **عن النبي–صلى الله عليه وسلم–كما أخرجه الترمذي** ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ))[2].

نعم صحَّ لنا وروانا–سبحانه وتعالى–من الماء البارد، فله الحمد وله الشكر حمدًا كثيرًا مُباركًا فيه، ملء السماء وملء الأرض وملء ما شاء من شيءٍ بعده.

✹ **يُسأل العبد أيضًا عن العهود والمواثيق التي بينه وبين الخلق، وبينه وبين ربه،** {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}[3]، فكم عاهدنا وواعدنا ربنا بالاستقامة وما فعلنا، وكم عاهدنا وواثقنا الخلق ووجدنا أنفسنا في حال خلف للوعد؟! استعملنا هوانا مع عهودنا ومواثيقنا، والمشكلة أن مثل هذا لو راجعته تجد كثير من الناس ما يعرفوا عن أنفسهم أنهم في الاتفاقات والارتباطات قد عاهدوا، فينسحبون من الارتباطات والمعاهدات على أيسر ما يكون وكأن العهود والمواثيق لن يُسأل عنها العبد، والله وحده المستعان.

✹ **أيضًا يُسأل الإنسان عن إضلال المُضلين للناس، قال تعالى:** {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[4].

✹ **يسأل عن العلم والسمع والبصر والفؤاد، قال تعالى:** {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[5]، فكم خضنا بقلوبنا وبأسماعنا وبأبصارنا، وكم كتبنا بأيدينا ما ليس لنا فيه مصلحة، وكم احتججنا عن هذه الأفعال بأمر واهٍ، فلا تقوى ولا ردع للنفس عمَّا تهواه واستسلام! والله المستعان.

✹ **وأيضًا مما يُسأل عنه العبد ظُنونه وهي داخلة تحت سمعه وبصره وفؤاده.**

✹ **يسأل العبد كما في الحديث:** ((لا تزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عنْ أربعٍ عنْ عُمُرِهِ فيما أفناهُ وعنْ عِلمِهِ ماذا عَمِلَ بِهِ وعنْ مالِهِ مِنْ أيْنَ أكتَسَبَهُ وفيما أنْفَقَهُ وعنْ جسدِهِ فيما أبْلاهُ))[1].

---

(1) [سورة التكاثر: 8]
(2) "سنن الترمذي" (كتاب تفسير القرآن / باب 88–ومن سورة التكاثر / 3358) قال الألباني: صحيح.
(3) [سورة الإسراء: 34]
(4) [سورة العنكبوت: 13]
(5) [سورة الإسراء: 36]

وهذه مصيبة المصائب أن تُسأل عن دقيق أحوالك عمرك، علمك، مالك، جسمك، طاقاتك أين ذهبت؟!.

قال الفضيل: أي حسرة على امرئ أكبر من أن يؤتيه الله علمًا فلم يعمل به فسمعه منه غيره فعمل به فيرى منفعته يوم القيامة لغيره، الله المستعان.

✹ **ويسأل العبد عن هذا المال** {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}[2]، وانظر إلى نظرة النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى هذا المال، انظر إلى هذا الفقه قال في حديث أمنا عائشة رضي الله عنها-: **أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:** ((مَا بَقِيَ مِنْهَا؟)) **قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ:** ((بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا))[3]، والحديث صحيح كما ورد في سنن الترمذي.

فليس لك إلَّا ما أنفقته في سبيل الله، حقًا ليس لك إلَّا ما أنفقته في سبيل الله.

قال مالك بن دينار: قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشار، العشار هؤلاء يأخذوا الضريبة، العُشر من مال هذا الشخص، **فقال لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه. فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض،** هم قالوا ابقوا في السفينة ولا تخرجوا، وقف هذا من يأخذ الضرائب عُشر ما مع أهل السفينة من مال مالك ابن دينار لما قالوا هذا وهو يعرف أنه من أهل العشار أخذ ثوبه وقفز، **فسألوه فقال لي: ما أخرجك؟** كيف تُخالف قبل أن تعطي **قلت: ليس معي شيء،** ما معي وها أنا أماكم ما معي مال خرجت بطولي، **قال: اذهب. فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة.**

يُقبل ما معك شيء، ولن تبقى من الدنيا شيء فتنجو بسرعة، ويخف عليك الحساب، ويقل عليك الوقوف، وما هي إلَّا قدمك في الجنة، نسأل الله من فضله.

على كل حال، مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة كما اتفقنا سمعه وبصره وفؤاده، ويسأل عن كل نعماءٍ كانت عليه ويسأل عن كل عطاء يعطيه الإنسان.

✹ **وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة،** كما ورد في الحديث الذي ورد في الترمذي **أن رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:** ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ))[1].

---

(1) "سنن الترمذي" (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / باب 1 [في القيامة] / 2417) قال الألباني: صحيح.
(2) [سورة العاديات: 8]
(3) "سنن الترمذي" (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / باب33 / 2470) قال الألباني: صحيح.

نبتدئ الآن بالكلام حول "القصاص يوم القيامة".

علمنا مما سبق أن حساب الله للخلق فيه صفات يجب أن نعتقدها، فهو-سبحانه وتعالى-له العدل التام، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[2].

وعن عائشة-رضي الله عنها-: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكَيْنِ يُكْذِبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ: ((يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ))، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قَالَ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: ((أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[3])) فَقَالَ الرَّجُلُ: "وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاَءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلَّهُمْ"[4].

آمنا بالله سبحان الله إنه الإيمان، الإيمان بلقاء الله الذي يجعل العبد يتصرَّف وهو يحمل همَّ اللقاء، فنحن بذلك نعلم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}[5]، {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}[6]، {وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}[7]، {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[8]، {وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[9]. كل هذا دليل على أنه-سبحانه وتعالى-له العدل التام.

---

(1) "سنن الترمذي" (كتاب الصلاة / باب مَا جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلاَةُ / 413) قال الألباني: صحيح.
(2) [سورة الأنبياء: 47]
(3) [سورة الأنبياء: 47]
(4) "سنن الترمذي" (تفسير القرآن / باب وَمِنْ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ / 3462) قال الألباني: صحيح.
(5) [سورة النساء: 40]
(6) [سورة النساء: 49]
(7) [سورة النساء: 124]
(8) [سورة الكهف: 49]
(9) [سورة النحل: 111]

✶ وأيضًا مما يجب أن نعرفه في حسابه لخلقه يوم القيامة من الخلق في القبر أنه لا يُؤاخذ أحد بجريرة غيره، فلا يتحمل أحد ذنب أحد {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، وهذا معلوم وقد كرَّر في القرآن، ففي الأنعام: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[1]، وفي الإسراء {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[2]، وفي النجم {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[3]، وفي فاطر: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[4].

فهذا كله دليل على تأكيد هذا المعنى وفي النحل الله-عزَّ وجلَّ-يقول: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[5]، وهؤلاء في الحقيقة لم يُؤاخذوا بذنوب غيرهم بل يؤخذ بذنوبهم وفعلهم، فهم أضل الناس، وهذه ذنوب إضلالهم لأن ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[6].

✶ أيضًا مما يجب أن نعرفه في هذا القصاص، من صفات الله-عزَّ وجلَّ-إطِّلاع العباد على ما قدَّموه من أعمال، يعني أنت لن تحاسب عن شيء إلَّا وتطَّلع عليه، وهذا من أعذار الله لخلقه، فيحكموا بأنفسهم على أنفسهم {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ}، يعني تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وما عملت من سوء، وهذا الذي عملته من سوء {وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}[7]، {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ}[8]، يعني هنالك تختبر كل نفس ما أسلفت.

✶ أيضًا مما يجب أن نعرفه عن الله في ذاك اليوم يوم القصاص: مضاعفة الحسنات دون السيئات {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[9].

---

(1) [سورة الأنعام: 164]
(2) [سورة الإسراء: 15]
(3) [سورة النجم: 38]
(4) [سورة فاطر: 18]
(5) [سورة النحل: 25]
(6) "صحيح مسلم" (كتاب العلم / باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ /2674).
(7) [سورة آل عمران: 30]
(8) [سورة يونس: 30]
(9) [سورة الأنعام: 160]

✶ وأيضًا مما نعرفه في ذاك اليوم العظيم يوم القصاص: أن تعلم أن من نعمائه على عباده المؤمنين تبديل السيئات حسنات، فتبلُغ رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدِّل سيئاتهم حسنات لمن؟ {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[1].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ، كَذَا، وَكَذَا، كَذَا، وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ، كَذَا، وَكَذَا، كَذَا، وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا))، **فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**"[2]، والحديث في مسلم في كتاب الإيمان.

نرجو من الله أن يعاملنا برحمته ويعفو عنا ويغفر لنا، ويجعل خير يومًا يوم أن نلقاه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

تم بحمد الله

(1) [سورة الفرقان: 70]

(2) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا / 190).

الفهرس

اللقاء الأول 1

اللقاء الثاني 10

اللقاء الثالث 18

اللقاء الرابع 25

اللقاء الخامس 31

اللقاء السادس 37

اللقاء السابع 44

اللقاء الثامن 51

اللقاء التاسع 57

اللقاء العاشر 64